

بحوث في

حزب الله

تأليف

العلامة المجاهد سماحة
السيد صدر الدين القباني

هوية الكتاب

الكتاب: بحوث في حزب الله

المؤلف: السيد صدر الدين القباجي

الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

الطبعة: الثالثة _ النجف الأشرف _ ١٤٢٥ هـ

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: البيان / النجف الأشرف

السعر: ٧٥٠ دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

هل قدّم لنا القرآن أطروحة سياسيّة للتحرك؟ وإذا كانت الإجابة بالاجاب، فما هي أبعاد تلك الأطروحة وحدودها؟ هل يؤمن الإسلام بحزب النخبة ويوكل مسؤولية الحركة إلى الثلّة القليلة من الكوادر الواعية ذات الخبرة؟ أم يعتقد بضرورة الانفتاح على الجماهير ويوظّف طاقاتها بالاتّجاه المناسب، ويؤمن بحقّها ودورها في التصدي؟

ما هي القاعدة الفكرية للفرد المنتمي إلى حزب الله، الذي وصف الله عزّوجلّ أفرادهم بأنّهم هم الغالبون والمفلحون؟ وما ولاءات هذا الفرد؟ وما المحكّ في بيان صدق هذه الولاءات؟

تساؤلات تزداد أهمّيّتها وضرورتها في المرحلة الراهنة، نظراً للشرائط الدقيقة التي تكتنف جماهيرنا المسلمة، وهي مرحلة تشابكت فيها الخطوط، وغامت فيها المفاهيم، وتضبّبت فيها الرؤية، فكان لزاماً

بحوث في حزب الله ٤

على العالم _ وقد ظهرت الفتن _ أن يظهر علمه. ولم لا؟ وإنقاذ
فِ كَرِ الإنسان وروحه أهم وأولى من إنقاذ بدنه وجسده؛ وكيف
لا؟ إذا كان من أحياء نفساً فكأنما أحياء الناس جميعاً.

ويسر مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف أن يقدم للسادة
القراء الكرام كتاباً متميزاً في هذا المجال، تصدى فيه سماحة المؤلف
«حفظه الله» لبيان المفهوم القرآني لـ «حزب الله» باعتباره الأطروحة
السياسية التي قدمها القرآن الكريم للجماهير المسلمة، وتحدث عن
الولاء _ وهو المحتوى الأساس لأفراد حزب الله _ بشقيه ووجهيه من
التولي والتبري، ابتداءً بالمستوى القلبي وهو الولاء لله تعالى وحبّه
والخوف منه والثقة به، ثم المستوى العلمي وهو طاعة الله تبارك
وتعالى وإعلاء كلمته، ثم الولاء للرسول وأهل بيته عليه وعليهم
السلام، وانتهاءً بالولاء للذين آمنوا.

والله تعالى نسأل أن يوفقنا لمرضاته وخدمة دينه وإعلاء كلمته، إنه

نعم المولى ونعم النصير.

الناشر

٢٥ / ربيع الثاني / ١٤٢٥ هـ

مقدمة المؤلف

للطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل حوالي عشرين عاماً ونحن في بدايات بناء التحرك الإسلامي الجماهيري العراقي في المهجر وجدنا أنفسنا بحاجة إلى بلورة النظرية الإسلامية في التحرك السياسي، وفي هذا الصدد أصدرنا مجموعة بحوث كان منها هذا الكراس الذي بين يديك.

والآن حيث تحرر العراق من قبضة البعث الأسود، وأصبح من المهم أن يباشر الجمهور دوره في الواقع السياسي، رغب الينا بعض الأعراء في إعادة طباعة هذا الكتاب.

ولم أستطع وأنا في مهام ميدانية يومية لتفعيل التحرك الإسلامي في العراق أن أعيد النظر فيما كتبت.

إلا أن رجائي أن تكون الحسنات فيه مقبولة عند ربي والهفوات فيها مغفورة وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

السيد صدر الدين القبانجي

١٨ / ربيع الثاني / ١٤٢٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

البداية

(حزب الله) _ هذا المصطلح القرآني _ ليس حزباً سياسياً، بل هو ليس بالمعنى المعروف لكلمة (حزب).

إنما (حزب الله) هو مفهوم قرآني ديني يعبر في أحد مداليه عن رؤية خاصة لشخصية الإنسان المؤمن بالله تعالى من حيث أخلاقه، وسلوكه، وطبيعة علاقاته، سواءً كان هذا الإنسان فرداً واحداً، أو مجموعة صغيرة، أو أمة كاملة هي كلها (حزب الله).

(حزب الله) هو مفهوم قرآني ديني من ناحية.

ومن ناحية أخرى هو (أطروحة سياسية) لها كل الأسس والمقومات المطلوبة في الأطروحات السياسية. وقد شهدت هذه الأطروحة السياسية عدة تطبيقات وتجارب، من خلال تاريخ الأنبياء الطويل واستطاعت أن تنتصر مرة، بينما تخفق مرة أخرى _ على المستوى الظاهري _ في صراعها مع الاتجاهات السياسية الأخرى

المنحرفة كما نعرفه جميعاً في تاريخ الأنبياء وصراعهم ومحنهم وجهادهم من أجل تحقيق الغلبة بـ (حزب الله).

وأخيراً انتصر (حزب الله) وحكمت أطروحة (حزب الله)، وعرفت الجماهير أن خلاصها من عذاب الفرقة، والتمزق، والتيه، والضلال، إنما هو بالتزام هذا اللواء المبارك لواء حزب الله، والانتماء إلى ساحل النور الإلهي، ساحل حزب الله الذي هو نور السماوات والأرض.

وكان هذا الانتصار في ظل الجمهورية الإسلامية المباركة في إيران، وقيادة سليل الأنبياء ووارثهم الإمام الخميني العظيم.

إن ما نريد الحديث عنه في هذه البحوث وفي ضوء أطروحة (حزب الله) هو الجانب الذاتي والاخلاقي في شخصية أفراد حزب الله، بينما سنتناول في بحوث لاحقة عن المنهج السياسي جوانب الأطروحة السياسية لطريقة حزب الله في العمل.

الفصل الاول

حزبُ الله عنواننا السياسي

- معنى الولاء
- النسبية في مفهوم حزب الله

ونحن إذا أردنا أن نكون فهماً قرآنياً مستوفياً عن حزب الله فإنّ علينا استلهام ذلك من هاتين الآيتين، ومن باقي الآيات القرآنية التي تدور حولهما.

طبعاً فإن مضمون هاتين الآيتين مشروح في كثير من آيات الكتاب الكريم، ولذا فإن علينا النظر في هاتين الآيتين كأساس، ثم في باقي الآيات التي تتناول نفس المفهوم وإن لم يرد فيها المصطلح اللفظي _ مصطلح حزب الله.

إن فكرة حزب الله وردت في القرآن الكريم من خلال كل الآيات التي تحدثت عن صفات المؤمنين، والمتقين، وإن لم يذكر فيها نفس المصطلح، ومن هنا فإننا سنعمد في فهم معنى (حزب الله) إلى مراجعة مجموع تلك الآيات، وإن كنا نتخذ من الآيتين السابقتين الركيزة في وضع أصول المفهوم.

* * *

الآية الأولى التي ورد فيها هذا العنوان _ حزب الله ذكرت خاصة الولاء لله، وللرسول صلى الله عليه وآله وللمؤمنين، وجعلتها هي المحتوى الأساس للإنسان الحزب الالهي. ﴿وَمَنْ يُنَوَّلَ اللَّهُ فَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

هذا الولاء الثلاثي لله وللرسول وللمؤمنين هو المقوم، وهو المقياس في مدى انتماء وارتباط الإنسان بـ (حزب الله) ومدى بعده عنه قليلاً أو كثيراً حتى يدخل في (حزب الشيطان).

على أن هذا الولاء والتولي ذي الشعب الثلاث _ الله، الرسول، الذين آمنوا _ هو من الوجه الآخر له براءة وتبري من أعداء الله، وأعداء الرسول، وأعداء الذين آمنوا، فـ (حزب الله) هو ارتباط بجهة وانتماء إليها، وهي جهة الله، ومن ناحية أخرى ابتعاد عن جهة، وانقطاع عنها، بل ومعاداة لها، وهي جهة الشيطان، وأعداء الله، وأعداء الرسول، وأعداء الذين آمنوا، وهؤلاء هم أتباع الشيطان.

إن الآية الثانية في (حزب الله) وهي قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾.

هذه الآية تشير إلى الوجه الآخر للتولي، هذا الوجه الآخر هو مقاطعة أعداء الله وأعداء الرسول وأعداء الأمة المؤمنة، والبراءة منهم، وبدون هذه المقاطعة لأعداء الله والرسول، والتبري منهم، مهما كانت درجة قربهم النسبية والقومية ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم، بدون المقاطعة مع كل هؤلاء فإن الولاء لله، وتوليهِ تبارك وتعالى، يكون أجوفاً وغير حقيقي.

لذا أكدت الآية السابقة أن المؤمن بالله وباليوم الآخر لا يمكن أن يكون موالياً لأعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله وأعداء المؤمنين. ننتهي من هذا العرض إلى نتيجة، وهي أن القاعدة الفكرية والنفسية للإنسان (حزب الله) هي الولاء الثلاثي لله، ورسوله، وللمؤمنين آمنوا، هذا الولاء الذي هو بوجهه الآخر براءة من أعداء الله، وأعداء الرسول، وأعداء الذين آمنوا. هذه هي القاعدة في (حزب الله). والآن لننظر هذا الولاء ذي الشعب الثلاث ماذا يتطلب؟ وكيف يكون ولاءً صادقاً؟

* * *

معنى الولاء

الولاء والتولي بشكل عام يعني في محتواه الحقيقي الكامل ثلاثة أمور: إيمان، تعاطف، وانقياد. فتولي أية قضية يعني إيمانك بها، وباستحقاقها، وتعاطفك النفسي معها، واندفاعك نحو إثباتها، وتحقيقها، وإنجاحها، وهكذا انقيادك لكل ما تتطلبه منك تلك القضية وتدعوك له. هكذا _ إذن _ تولي الله يعني:

إيمان، تعاطف، انقياد.

أولاً: _ إيمانك بالله، وقناعتك الفكرية والنفسية به تبارك وتعالى.

وثانياً: _ تعاطفك مع هذا الإله الخالق المعبود وارتباطك به

عزوجل نفسياً وعاطفياً، حتى تحاول الوصول إليه، والتوجه نحوه،
وكسب مرضاته، والتحبب إليه.

وثالثاً: _ انقيادك له تبارك وتعالى، حتى لا تعصي ما أمرك به،

ولا ترتكب ما نهاك عنه، وبدون هذا الانقياد فإن الولاء سوف لا
يكون أكثر من عنوان، ومجرد ادعاء لا يعبر عن حقيقة.

ومثل هذا نقوله في تولي الرسول، وتولي المؤمنين، هو إيمان،

تعاطف وانقياد، وهذا ما سنشرحه إن شاء الله تعالى في الفصول
الآتية.

سنجعل حديثنا _ إذن _ في حدود شرح هذا الولاء:

١ _ الولاء لله تعالى

٢ _ الولاء للرسول صلى الله عليه وآله

٣ _ الولاء للذين آمنوا

* * *

النسبية في مفهوم حزب الله

ويجب أن نشير في البدايه إلى قضية مهمة:

هي أن حزب الله ليس مقولة حدية لا تفاوت فيها، إنما هي مقولة نسبية، فهناك من يقترب إلى الله تعالى، ويصعد في سلم الإيمان حتى يصل إلى درجة اليقين، تلك الدرجة التي لا يبلغها إلا قليل من المؤمنين، تلك الدرجة التي كما ينقل «أن أقل ما أُسّم على العباد هو اليقين»^١.

هناك من يصل إلى هذه الدرجة وهي أعلى درجات الإيمان، وحتى في هذه الدرجة هناك مراتب، هناك أقوى وأضعف، هناك أعلى مراتب اليقين، تلك المرتبة التي قال فيها الإمام علي عليه السلام: «لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»^٢ وهي آخر درجات اليقين بالله، حتى كان في يقينه كمن يرى الله تعالى.

تلك الدرجة التي قال فيها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله «يا علي ما عرف الله حق معرفته إلا أنا وأنت»^٣.

^١ - راجع تفسير القرآن للسيد مصطفى الخميني، ج ٤: ٣٩٢.

^٢ - مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٧.

^٣ - مناقب آل أبي طالب ٣: ٦٠.

هناك من يصل إلى هذه الدرجة، ويقترب إلى الله أشد ما يكون الاقتراب، وهذه درجة العصمة التي بلغها الأنبياء والأوصياء.

وهناك من لا يبلغ هذه الدرجة، ومع ذلك فهو من المؤمنين، من حزب الله، من أتباع الله، وليس من حزب الشيطان وأتباع الشيطان.

إن (حزب الله) مقولة نسبية، يتفاوت فيها الناس المؤمنون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُمُ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.^١

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾.^٢

وفي كل هذه الدرجات يكون الإنسان مؤمناً، حزب الله، غير خارج عن صفوف حزب الله، وهكذا ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي، وترقى منه مرقاة بعد مرقاة، لا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء».^٣

والإنسان يبلغ أعلى درجة من درجات حزب الله حينما تجتمع فيه صفات المؤمنين، وحينما يرقى إلى آخر درجة في سلم الإيمان،

١- سورة آل عمران _ ١٦٣.

٢- سورة الاحقاف _ ١٩.

٣- الخصال _ للشيخ الصدوق _ باب العشرة.

فيمتليء قلبه بالإيمان، وتخشع كل جوارحه وجوانحه لله وحده لا شريك له، وذلك هو ما عبرت عنه الآية الكريمة حين تحدثت عن حزب الله فقالت: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^١.
وكما إن (حزب الله) درجات، كذلك فإن (حزب الشيطان) درجات.

بمقدار ما يهبط الانسان بعيداً عن درجات حزب الله، يكون أقرب إلى حزب الشيطان، وهنا _ والعياذ بالله _ كلما ينغمس في طاعة الشيطان، يبتعد أكثر عن الله، أكثر فأكثر، حتى يكون ممن استحوذ على قلبه الشيطان فأنساه ذكر الله، كما قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^٢ وتلك آخر درجة، وأحقر درجة في سلم حزب الشيطان. وقد ورد في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت، حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»^٣.

^١ - سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

^٢ - سورة المجادلة _ ١٩.

^٣ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الذنوب _ ص ١٣.

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبها إلى خير أبداً، وهو قول الله عزوجل ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١».

* * *

إذن هناك سلم الإيمان وهناك سلم الشرك والفجور، والإنسان بين هذين السلمين، يستطيع أن يرقى إلى أعلى وأشرف درجة في سلم الإيمان، فيكون من حزب الله من الدرجة الأولى، ويستطيع _ والعياذ بها _ أن يهبط في سلم الفجور والضلال حتى يصل إلى أسفل درجة في سلم حزب الشيطان.

إن ما نريد تأكيده في هذه النقطة، وفي بداية حديثنا عن (حزب الله) وخصائصه، أن كل المؤمنين هم من حزب الله طالما كانوا يرتبطون بالله تعالى، وفي أية درجة كانوا.

نعم إذا نسوا الله فأنساهم أنفسهم خرجوا من دائرة حزب الله بالكامل، ليقعوا في دائرة (حزب الشيطان).

^١ - سورة المطففين، الآية: ١٤.

^٢ - ميزان الحكمة _ ج ٣ _ باب الذنوب.

أمّا هنا وفي هذه الفصول فإننا سنتحدث عن مواصفات الإنسان المؤمن الـ (حزب الله) في حدود ما تفيدته الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ومن تجتمع فيه كل تلك المواصفات وبأعلى مراتبها يكون مؤمناً حزب اللهياً من الطراز الأول.

وإن علينا إذ نريد أن نكون من حزب الله أن نجد في جمع هذه الصفات وتحقيقها في أنفسنا لنكون من المفلحين.

أما أن ندعي دائماً بأننا من (حزب الله) لكننا بعيدون عن هذه الصفات، بعيدون عن الله، عن الارتباط الوثيق به، فإننا _ لا سمح الله _ قد ننسى أنفسنا، ونظل في غمرة ادعاءاتنا، ويزين لنا الشيطان أعمالنا، ويجرنا إلى حزبه من حيث لا نشعر، والعياذ بالله.

* * *

الفصل الثاني

الولاء لله جلّ جلاله

- حبّ الله
- حقوق الله
- الثقة بالله
- طاعة الله
- التصدي لاعلاء كلمة الله

الولاء لله تبارك وتعالى هو خاصية حزب الله، هو خاصية الانسان
ال (حزب الله).

ومن هذا الولاء تنفرع الولاءات الأخرى للرسول، وللذين آمنوا،
ومن هذا الولاء أيضاً تنشأ المعادة والبراءة من أعداء الله.

إذن فالولاء لله، وتوليّه تعالى هو القاعدة التي تبني عليها وتنبثق
منها كل مواصفات وخصائص حزب الله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ
آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^١.

وهذا الولاء لله تعالى ينعكس على عواطف الانسان، وأحاسيسه،
ومشاعره، وعلى سلوكه وعمله.

إن الانسان حينما يؤمن بقضية نظرياً وفكرياً، فإن هذا الإيمان _
حينما يكون إيماناً عميقاً وأكيداً وراسخاً _ يتسرب إلى أعماق
نفسه فيطبعها بطابع خاص، ويولّد علاقة نفسية خاصة، ثم من هذا

^١ - سورة محمد _ ١١.

بحوث في حزب الله ٢٤

الموقع _ موقع عواطف الانسان ومشاعره _ ينعكس على سلوكه، وأعماله، وسائر نشاطاته.

وهذا هو معنى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمتي ولكن ما خلص في القلب وصدقه الاعمال»^١.

هكذا الحديث الشريف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان، وعمل بالأركان»^٢.

وعلى هذا فاننا سنتحدث عن الولاء لله على مستويين: على مستوى ذواتنا وأنفسنا ووجداننا ثم على مستوى عملنا، ومواقفنا. الإنسان الـ (حزب الله) هو ذلك الذي يتمثل الولاء لله تعالى في مشاعره وعلاقاته النفسية، وهكذا في سلوكه وعمله وطريقة ارتباطاته مع الغير.

* * *

أما على مستوى ذواتنا، ومشاعرنا النفسية فإن الولاء لله تعالى يتمثل أوضح ما يتمثل في:
حب الله، وخوف الله، والثقة بالله.

^١ - ميزان الحكمة _ ج ١ - باب الإيمان _ عن مصادره.

^٢ - المصدر السابق.

أمّا على مستوى العمل، فالولاء لله تعالى يتمثل في:
طاعة الله تعالى، وفي العمل لإعلاء كلمة الله وحمل مسؤوليتها،
وفي رفض أعداء الله تعالى ومواجهتهم.

على ذلك فإن الانسان ال (حزب الله) المنتمي إلى الله تعالى،
والمرتبط به، يحمل الصفات الخمس المنبثقة كلها من الولاية لله تعالى.

هذه الصفات هي: _

١ _ حب الله تعالى

٢ _ خوف الله تعالى

٣ _ الثقة بالله تعالى

٤ _ طاعة الله تعالى

٥ _ التصدي لإعلاء كلمة الله تعالى

وفيما يلي نتناول هذه الصفات الخمس بشيء من الشرح
والتوضيح.

* * *

الفصل الثالث

حب الله جلّ جلاله

- علاقات المحبة الأخرى
- حبُّ الله وحبُّ الطرق اليه
- فوق الانتماءات
- الحبُّ في الله
- حالة الاستيعاب
- الوجه الآخر للحب

ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «وهل الدين إلا الحب؟ إن الله عزوجل يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾»^٢.

وفي رواية أخرى أن فضيل بن يسار سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الحب والبغض أمن الإيمان هو؟

فقال عليه السلام: «وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿حَبَّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ وَمَنْزِلَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ﴾»^٣.

* * *

الأصل في علاقتنا مع الله تعالى هو الحب. هذا الحب المتبادل، فكما أن الله تعالى يحب عباده الصالحين، كذلك العباد الصالحون يحبون الله ويودونه.

^١ - انظر هذه الروايات في ميزان الحكمة _ ج ٢ - باب المحبة.

^٢ - سورة آل عمران _ ٣١.

^٣ - سورة الحجرات _ ٧.

﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^١.

وهنا في هذه النقطة بالذات يفترق المؤمنون عن غيرهم من الفاسقين والمنافقين والمنحرفين. ذلك أن ﴿مِنَ النَّاسِ مَن يَخْذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^٢.

* * *

الانسان المؤمن، الانسان ال (حزب الله) هو ذلك الذي يستشعر الحب لله تعالى في أعماقه، حتى يكون الله تعالى أحب اليه من أي شيء آخر.

كما ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبَّ اليه مما سواهما»^٣.

والدين حريص على تعميق هذه العلاقة النفسية علاقة الحب والمودة بين الله وعبده، بين المتبوع والتابع، بين المخلوق والخالق، من حيث أن المودة الصالحة، الحب لأولياء الله.

* * *

^١ - سورة المائدة _ ٥٤.

^٢ - سورة البقرة _ ١٦٥.

^٣ - الأخلاق _ السيد عبد الله شبر _ ٢٦٤.

بمقدار ما يمضي الانسان في هذا الحب، وبمقدار ما يكون عاشقاً لله تعالى، يصعد في سُلّم الايمان، يتعمق أكثر ليكون من الأوائل في حزب الله الذين كَتَبَ اللهُ في قلوبهم الإيمان.

وبمقدار ما ينضب هذا الحب في قلب الانسان بمقدار ما يتعد عن حزب الله ويقترّب قليلاً قليلاً نحو حزب الشيطان.

* * *

إن الحب لله تعالى هو دليل الإيمان. ذلك أن الإيمان الحقيقي لا يقف عند سطوح الدماغ، إنما ينزل ليملاً القلب، ويهيمن على النفس، ومن لا يحمل هذا الحب لله، لا يمكن اعتباره مؤمناً ولا يمكن أن يكون من حزب الله.

إن (حزب الله) هم أولئك المرتبطون مع الله بأفكارهم، وعواطفهم، وسلوكهم.

إن الانسان الحزب اللهي هو ذلك الذي يعرف أن هويته هي محبة الله تعالى، وإلا فكيف يكون من حزبه؟

* * *

والمحبة هي المحرك الحقيقي نحو الطاعة، نحو العمل فيما يُرضي الله، وهي طريق تكامل هذا الانسان وعروجه إلى مقام الربوبية، والدين

يحاول دائماً أن يجعل علاقة المحبة هذه أوثق العلاقات، وأقوى الروابط بين الله والانسان. والذين يفترضون أنهم (حزب الله) يجب أن يمتحنوا أنفسهم هنا، يمتحنوا أنفسهم بالنظر في مقدار حبهم وعشقهم لله تبارك وتعالى.

فالله تعالى أحبّ إلى المؤمنين من هذه الدنيا ونعيمها، أحبّ إلى المؤمن من كل ما عداه.

ويعترض القرآن الكريم على أولئك الذين حلت الدنيا بأعينهم فرغبوا بها عن الله تعالى فيقول:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَوُونَ أَلَا يَأْتِي اللَّهَ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^١.

ولقد بلغ الأنبياء والأوصياء مبلغ القمّة في هذا الحب، فكانوا هم الأولياء حقيقة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته:

«إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلاً؟ ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً؟ إلهي فاجعني ممّن اصطفتيه

لقربك وولايتك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعدته من هجرك وقلاك.. وهيمت قلبه لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك...»^١.

ويبلغ هذا الحب أقصاه، حتى يكون البعد عن الله، وفراقه أشد من عذاب جهنم على ذلك المحب، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربّي صبرْتُ على عذابك فكيف أصبرُ على فراقك»^٢.

* * *

علاقات المحبة الأخرى

وعلاقات المحبة كثيرة، ذلك أنه ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُتَنَطَّرَةِ...﴾^٣.

لكن خاصية المؤمن، لكن خاصية الانسان الـ (حزب الله) أن حبه لله يتجاوز ويعلو على كل حبٍ آخر، كما قال الله تعالى:

^١ - انظر مفاتيح الجنان _ مناجاة المحبين.

^٢ - انظر دعاء كميل _ مفاتيح الجنان.

^٣ - سورة آل عمران _ ١٤.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^١.

المؤمن لا يبغض نِعَمَ الله، وعطاءه وسائر الخيرات في هذه الحياة الدنيا، إنه أيضاً يحبها، لكن حبه لله أشد دائماً، وأقوى أبداً، وحينما يقع تزاخمٌ وتعارضٌ بين مطلوبٍ إلهي وبين أمرٍ من أمور هذه الحياة فإنَّ الأول هو الذي سيغلب.

على سبيل المثال: الانسان يحب الراحة، يحب النوم، لكن أولياء الله يتخذون من ساعات النوم ساعات مناجاة، وقد ورد أن الله تبارك وتعالى قال لموسى بن عمران: «يا بن عمران كذبت من زعم أنه يُجيبني، فإذا جنَّه الليل نام عني، أليس كل محبٍ يجب خلوة حبيبه؟ ها أنذا يا بن عمران مطَّع على أحبائي إذا جنهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم... يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع في ظلم الليل فإنك تجديني قريباً»^٢.

حب الله وحبُ الطرق اليه

ومن أحب شيئاً أحب الطريق اليه، وهانت عنده كل الصعوبات من أجل الوصول إلى حبيبه.

^١ - سورة البقرة _ ١٦٥.

^٢ - بحار الأنوار _ ج ٧٠ - ص ١٤.

هكذا المؤمنون الذين ذاقوا حلاوة محبة الله، فإنَّ كل وسيلة تقرُّبهم إلى الله _ محبوبهم الأول _ هي محبوبةٌ عندهم.

ولذا ورد في الدعاء عن الرسول صلى الله عليه وآله: «اللهم ارزقني حبَّك، وحبَّ من يُحبُّك، وحب ما يقربني إلى حبِّك، واجعل حبك أحبَّ إليَّ من الماء البارد».^١

إنه حينما يكون الله حبيب قلوب الصادقين، فإن الأعمال الموصلة إليه تكون محبوبةً، والأشخاص الذين يدعون إليه يكونون أيضاً محبوبين، وتكون كل الوسائل الواقعة في طريق الله محبوبةً. الصلاة مثلاً لأنها طريق إلى الله، ولأنها (معراج المؤمن) فهي حبيبةٌ للمؤمنين، وليست ثقيلةً، ولا كبيرةً، نعم هي ثقيلةٌ وكبيرةٌ على أولئك الذين ضعفت أو انعدمت عندهم أحاسيسُ المحبةِ لله تعالى ﴿وَإِنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^٢ وهكذا الرسل والأنبياء لأنهم يبلِّغون عن الله، ويربطون الخلق بالله، ولأنهم الطُّرُقُ إلى الله تعالى فهم محبوبون للإنسان المؤمن.

^١ - ميزان الحكمة _ ج ٢ - باب المحبة.

^٢ - سورة البقرة _ ٤٥.

وهكذا كل وسيلةٍ توصلُ إلى الله، التفكير في آيات الله، أو التباحث في مخلوقات الله، أو الكتابة في سبيل الله، إن كل هذه جميعاً تكون محبوبةً طالما هي في طريق الله.

لكن يبقى حبُّ الله هو الأشد، وهو الأصل كما قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^١.

فحبُّ الوسائل إلى الله لا يكون حباً أعمى.

إنما هو حبٌّ مشروط، إنما هو حبٌّ هادف، فطالما كانت الوسيلةُ

توصل إلى الله فهي محبوبة، أما إذا ابتعدت عن ذلك فهي مرفوضة.

الأنبياء مثلاً هم رسلُ الله، وطرقُ اليه.

والإنسان المحب لله محب لرسول الله.

لكن لا يتخذ من هؤلاء الرسل أهةً من دون الله: كما حدّث

القرآن الكريم عن أولئك الذين اتخذوا من عيسى المسيح الصلواتُ إلهاً،

فقال: ﴿وَإِذِ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي

إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾^٢.

١- سورة البقرة _ ١٦٥.

٢- سورة المائدة _ ١١٦.

وهكذا خالف القرآن الكريم: ﴿اتَّخَذُوا أَحِبَارَهُمْ فَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^١.

لماذا؟ لأن الهدف هو الله، فلا يمكن أن تتحول الوسائل نفسها إلى هدف مقابل الله تبارك وتعالى.

حتى الأنبياء، والأوصياء، والعلماء يجب أن يكون حبُّهم في حدود ما هم طرق إلى الله، أمّا أن نتخذهم أرباباً من دون الله فذلك هو الشرك الذي يقول فيه القرآن الكريم: ﴿لَئِنِ اشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾^٢.

لأنك سوف لا تصل إلى الله، ولأنك سوف تكون بعيداً عن الله.

* * *

فوق الانتماءات

وهنا نؤكد صفة مهمة في الإنسان ال (حزب الله)، هذه الصفة هي الالتفات دائماً إلى أن الحب إنما هو لله بالأساس، وأي طريق، أو أية وسيلة، أو أي شخص، أو أي أسلوب نضمّر له الحب طالما

^١ - سورة التوبة _ ٣١.

^٢ - سورة الزمر _ ٦٥.

بحوث في حزب الله ٣٨.

كان يوصل إلى الله ، ومقدار ما هو مقرب إلى الله تعالى وإلى مطالبه.

الانسان ال (حزب الله) هو ذلك الذي يضع الله وحب الله فوق كل شيء.

هو ذلك الذين يجعل من (حب الله) مقياساً يحكم من خلاله على هذا العمل أو هذه الطريقة، أو هذا الشخص.

الانسان ال (حزب الله) هو صاحب الحب الواعي، وليس الحب الأعمى.

الانسان ال (حزب الله) هو ذلك الانسان الذي لا يطغى في حب الطرق إلى الله حتى يجعل منها أصناماً تُعبد من دون الله.

الانسان ال (حزب الله) هو ذلك الذي يحتفظ بالتوازن في علاقات المحبة التي يضعها هنا وهناك.

وفي التاريخ ظهرت أنماط عديدة من الصنميّة، ومن الآلهة المتخذة من دون الله.

قد تكون هذه الصنميات بشكل صريح كأولئك الذين عبدوا الأوثان، ومع ذلك فقد كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^١.

وقد تكون بشكل غير صريح كأولئك الذين اتخذوا القوم، أو العشيرة، أو الفئة المعينة، أو الشخص، أو الجماعة السياسية هدفاً أعلى، ونسوا أن الله تعالى فوق القومية، والعنصرية، وفوق العشيرة، وفوق الفئة الخاصة، وفوق الأشخاص وفوق الأحزاب.

أما الإنسان الـ (حزب الله) فهو ذلك الذي ينتبه دائماً، ويعرف أن ارتباطه بالأساس هو بالله، وهو منتبهِ إلى الله قبل كل شيء، قبل الانتماء إلى فئة، أو إلى قوم، أو إلى شخص.

ومن هنا فهو من حزب الله، لأن الله تعالى هو هدفه، وهو الطرف الذي يتعلق به، وكل ما عداه يزول ويتلاشى عنده.

وهنا من المهم أن أذكر بمعنى الصنمية...

ما معنى أن يكون شيء ما رباً من دون الله؟

وما معنى أن يكون الحب حباً أعمى فيضل الإنسان عن سبيل

الله؟

وما معنى أن نقدّس شخصاً أو كياناً أو طريقة حتى تتحوّل إلى صنم؟

ليست الصنمية بأن نصلي لذلك الشخص أو الكيان أو الطريقة؟
ليس الصنمية بأن نسجد ونركع لهؤلاء من دون الله.
قد يبقى الانسان يصلي ويصوم لله، ومع ذلك فهو _ من حيث يشعر أو لا يشعر _ قد اتخذ أصناماً من دون الله عز وجل.
كيف ذلك؟

الإمام الصادق عليه السلام يجب حين يتحدث عن قوله تعالى:
﴿تَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.^١ فيقول: «والله ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فاتبعوهم».^٢

هذا الاتباع الأعمى الناشيء من التقديس الأعمى هو الصنمية، والربوبية المشار إليها في القرآن الكريم.
إن الحب، والتقديس، والإتباع، يجب أن يكون دائماً عن وعي، وعن انتباه إلى أن الهدف هو الله قبل كل شيء.

^١ سورة التوبة _ ٣١.
^٢ أصول الكافي _ ج ١ - كتاب فضل العلم _ باب التقليد.

والحديث الشريف عن الإمام الجواد عليه السلام يقول: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»^١.
الدين له مقاييس ثابتة، والحق له مقاييس محددة، ولا يمكن اختلاق مقاييس ومعايير أخرى للحق وللدين.

الكتاب، والسنة هما المقياس دائماً وأبداً ولا ثالث، وأهل البيت عليهم السلام هم الذين ينطقون عن الكتاب والسنة.
ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «لا يُعرف الحق بالرجال، إعرف الحق تعرف أهله»^٢.

أما كيف نعرف الحق؟

نعرفه من الكتاب والسنة ولا ثالث، وحتى الأكثرية ليست مقياساً، وطول التجربة ليس مقياساً، والحنكة الشخصية ليست مقياساً، هذه كلها ليست مقاييس مطلقة في معرفة ما هو الحق الذي يجب أن يتبع، وما هو الدين الذي ندين الله به.

وإذا ما اتخذنا من هذه مقاييس فتلك هي الصنمية التي تورط بها قوم قبلنا ذكرهم القرآن الكريم.

^١ - تحف العقول _ كلمات الإمام الجواد عليه السلام.

^٢ - ميزان الحكمة _ ج ٢ - باب الحق _ عن مصادره.

وهكذا فإن الانسان ال (حزب الله) هو ذلك الذي يعرف الحق ثم يعرف أهله، وإذا عرف أهله فإنه لا يقدسهم تقديساً مطلقاً، وإنما يبقى الحق هو مقياسه وميزانه الأول والأخير.

* * *

الحب في الله

وتشير العديد من الروايات إلى أن الحب في الله هو أوثق عرى الإيمان، وهو من دلائل كمال الإيمان، ومن علامات المؤمن.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله فهو ممن كمل إيمانه»^١.

وورد عنه عليه السلام أيضاً قوله: «من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله».

وعن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «وَدَّ الْمُؤْمِنُ لِمُؤْمِنٍ فِي اللَّهِ مِنْ أَكْثَرِ شَيْءٍ».

وهكذا ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه سأل أصحابه: «أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة،

^١ - راجع هذه الأحاديث في ميزان الحكمة _ ج ٢ - باب المحبة، وكذلك أصول الكافي _ ج ٢ - باب الحب في الله.

وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل ما قاتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله...».

والسؤال الآن: كيف أصبح الحب في الله والبغض في الله بهذه المثابة؟

أوثق عرى الإيمان، ومن أعظم شعب الإيمان، ومن كمال إيمان المرء، حتى فاق الصلاة، والصيام والحج، والزكاة...

الحقيقة التي أشرنا إليها سابقاً هي التي تفسر ذلك...

«إن الله تعالى هو هدفنا، وبه يتعلق حبنا، ونحن ننتمي إليه، ونرتبط به وكل ما عداه من متعلقات حبنا هي وسائل وطرق إليه، ونحن إنما نحبها في الله، ومن أجل الله».

حينما نكون صادقين في حبنا لله، إذن يجب أن نحبها لأنها طرق إلى الله، وفي ذات الوقت فإن حبنا لها لا يطغى، ولا يتجاوز حدوده، وليس حباً أعمى، وإنما نحبها في الله، ومن حيث إنها طرق إلى الله، لا نحبها لذاتها، ولا نقدسها لأنها هي، وفي أية لحظة نجد طريقاً أقرب إلى الله فإننا سنتخلى عنها.

هذا هو الحب الصحيح، وهكذا يكون الانسان من حزب الله.

إننا لا نتخذ من الوسائل أهدافاً، ومن الأشخاص والكيانات أرباباً.

الإنسان المؤمن ال (حزب الله) هو ذلك الذي يطبق مقياس الله في علاقاته، هو ذلك الذي يقول : «اللهم إني لو وجدتُ شفعاء أقرب إليك من مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار جعلتُهم شفعاي»^١.

إن الحب في الله إنما أخذ القيمة المتقدمة التي أشارت إليها الأحاديث الشريفة لأن أي انحراف عنه يؤدي إلى الوقوع في الصنميّة الخطرة.

* * *

إنني أحب فلاناً، لماذا؟

لا لأنه ابن لغتي، وينتمي إلى قوميتي، ولا لأنه ابن عشيرتي وقرايتي، ولا لأنه ينتمي إلى نفس الفئة، أو الهيئة أو الحزب أو الجماعة التي أنتمي إليها، ولا لأنه من أبناء مدينتي، إنما الأصل والأساس هو لأنه من المؤمنين، لأنه من هذه الجماعة الكبيرة التي

^١ - زيارة (الجماعة الكبيرة).

أنتمي إليها، جماعة حزب الله، فالإيمان بالله هو أساس حبنا، مهما اختلف عني في اللغة، أو القوميّة، أو المدينة، أو الفئة، أو الحزب. أمّا حين أحبه لا لأجل الإيمان الذي يستوعب كل المؤمنين، حين أحبه لأجل عنوان واحد مما ذكرناه من الأسباب، فذاك معناه الشرك، معناه أننا وضعنا لعواطفنا وهكذا لسلوكنا مقاييس أخرى غير الله.

حالة الاستيعاب

وهنا _ في الحديث عن الحبّ في الله _ يجب أن نشير إلى خاصية الاستيعاب ، وسعة الأفق، وسعة الارتباط في الانسان الـ (حزب الله)، فهو يرتبط نفسياً وعملياً بمن كان قريباً منه ومن كان بعيداً، بمن يتفق معه تماماً في صيغة العمل وبمن يختلف معه طالما كان المؤمن عاملاً للاسلام.

الانسان الـ (حزب الله) لا يكون فتوياً، لا يكون ضيقاً في تعامله، لا يكون احتكارياً بحيث يرى أنه وحده وجماعته على الحق والباقون على ضلال وإن كانوا من المؤمنين.

الانسان ال (حزب الله) يفتح قلبه لجميع المؤمنين، لجميع من يعبدون الله، ويريدون مرضاته، ويعملون له ومن أجله.

الانسان ال (حزب الله) يُحسن الظن بالغير، ويتعاطف معهم على أساس أنهم جميعاً عاملون لله وإن اختلفت الطرق. من هنا فهو يحبهم جميعاً، وهذا معنى (الحب في الله).

* * *

وهكذا حينما أحب فئة ما، وجماعة ما.

لماذا أحبهم؟

لا لأني ارتبط معهم بروابط تنظيمية معينة، لا لأنهم يحملون نفس الاسم الذي أحمله، اسم تلك الفئة والجماعة، ولا لأني طالما عملت معهم، وتعبت من أجلهم، اذن يجب أن لا أضيق تلك الاتعاب. إنما فقط أحبهم لأنهم يعملون لله، وقضيتهم هي قضية الله، وحينئذ فأنا كما أحبهم أحب غيرهم أيضاً، لأن القضية ليست قضية جماعة محدودة، إنما قضية الله، وأنا أحبهم حيث كانوا في طريق الله، وخدمة رسالة الله، وخدمة أمة الله، أما إذا زاغوا عن ذلك فأنا لست

منهم في شيء، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^١.

هذه هي خاصية حزب الله، وصفة الانسان ال(حزب اللهي).

الوجه الآخر للحب

والوجه الآخر لحب الله هو بغض أعداء الله، وبغض كل طريق يبعد عن الله تعالى.

فالقلب الذي يتجه نحو الله يعاكس حتماً أعداء الله، والقلب الذي يتعلق بالله ينفصل حتماً عن أعداء الله. ليس فقط عن أعداء الله، إنما أيضاً عن كل عمل، وكل أسلوب، وكل قضية تجره بعيداً عن الله.

ومن أجل أن يكون الانسان صادقاً في ولاءه لله، ومن أجل أن يكون صادقاً حين يقول إنني من حزب الله، فإن عليه أن يستشعر الحب لله، ولأولياء الله، وللأعمال الموصلة إلى الله، ومن الطرف الآخر عليه ان يستشعر البغض لأعداء الله، ولكل الأعمال التي تبعده عن الله.

^١ - سورة الأنعام _ ١٥٩.

والآية الثانية التي ورد فيها عنوان حزب الله أكدت على هذا الوجه الآخر، فقالت: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾^١

وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام ورد: «كل من لم يحب على الدين، ولم يبغض على الدين فلا دين له»^٢.

إنني أغضب وأبغض، لماذا؟

لله، ومن أجل الله.

لا لأجل قضيتي الشخصية!

لا لأجل قضية القبيلة، أو القومية، أو الفئة التي ارتبط بها.

إنما لأجل قضية الله، ورسالة الله، لأن جماعتي وفتي والكتلة التي

أنتمي إليها هي تلك الكتلة الواسعة، العريضة، كتلة حزب الله، فليس

لي أن أبغض إلا من يخرج عن هذه الفئة ويدخل في فئة (حزب

الشیطان).

أما إذا لم يكن بغضي في الله، ولم يكن بغضي لأتباع الشيطان،

إنما كان لأناس هم من حزب الله أيضاً، وهم من خندق الإيمان لا

^١ - سورة المجادلة - ٢٢.

^٢ - أصول الكافي - ج ٢ - باب الحب في الله والبغض في الله - ص ١٦.

خندق النفاق، فمعنى ذلك أنني لم أصدق في إخلاصي لله، وتوحيدي له، إذ قد اتخذت مقياساً آخر، وأشركت مع الله نداً من الأنداد.

الانسان الـ (حزب الله) هو ذلك الذي يبغض كل من يقع في جهة (حزب الشيطان)، أما الواقعون في جهة (حزب الله) مهما اقتربوا منه أو ابتعدوا، مهما وافقوه في رأيه أو خالفوه، مهما ارتبطوا معه بتنظيم أو لم يرتبطوا، قلدوا نفس المجتهد الذي يقلده أم لا، كل هؤلاء هو يحبهم ولا يبغضهم.

وبهذه السعة، والانفتاح، يكون الفلاح الذي أشارت إليه الآية الكريمة ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

بهذه الروح نستطيع أن نوحّد صفوفنا، نستطيع أن نكسب محبة المؤمنين، نستطيع أن نضمن تعاون خواننا معنا، مؤازرتهم لنا، نستطيع أن نجعلهم يحسنون الظن بنا، ونستطيع من خلال كل ذلك أن نحقق أهداف الله، ورسوله، وذلك هو الغلبة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

الفصل الرابع

الخوف من الله جل جلاله

- الخوف والطاعة
- عدم الخوف من غير الله
- ألوان التخوّف المرفوض
- التخوّف من الحشود المضادة
- التخوّف من المقاطعة
- التخوف من التسقيط الاجتماعي

والانعكاس الثاني لولاء الله تبارك وتعالى هو الخوف منه .
فالإنسان المؤمن هو ذلك الإنسان الخائف من الله تعالى ،
والإنسان المنافق الجاحد هو ذلك الإنسان الذي لا يبالي بمقام ربه
وشهادته عليه .

والقرآن الكريم يضع مقابلة بين المؤمن وغيره على أساس هذا
الخوف فيقول:

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^١.

إذن فحزب الله هم أولئك الذين عرفوا الله فخافوه، بينما حزب
الشیطان هم أولئك الذين لم يعرفوا الله فلم يخافوه، ولم يأبهوا لمقامه
الرقیب عليهم، ولا يمكن للإنسان أن يكون عارفاً بالله، ثم لا يترجم
هذه المعرفة إلى عمل، إن قيمة هذه المعرفة هي بمقدار ما تنسحب
على علاقته النفسية والعملية مع الله تبارك وتعالى .

^١ - سورة النازعات _ ٤٠ .

والحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»^١.

إن هذا الخوف هو لازم من لوازم المعرفة بالله.

الانسان الذي يعرف أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بما شاء الله.

الانسان الذي يعرف أن مبدأه من الله، ومرجعه إلى الله.

الانسان الذي يعرف أنه إنما يقوى على الطاعات، ويعمل

الصالحات، بمعونة من الله تعالى.

الانسان الذي يعرف أن الله هو الساتر عليه في الدنيا والساتر عليه في

الآخرة.

الانسان الذي يعرف أنه إذا تخلى عنه الله، وتركه لنفسه، وإلى الناس،

فإنه سيضل ويهوى.

الانسان الذي يعرف أن رضوان الله أكبر من كل هذه الحياة، وأن كل

نعيم وخير في هذه الحياة هو رشحة من رشحات ذلك الرضوان وتلك

الرحمة الإلهية.

مثل هذا الانسان يكون خائفاً من الله، مراعيماً لمقام ربّه عليه.

* * *

هنا نريد أن نسأل:

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الخوف والرجاء.

مّم يخاف الانسان المؤمن؟ ولماذا؟

لماذا كلما ازدادت معرفته بالله كان أكثر خوفاً؟

ولماذا يكون الانسان الـ (حزب الله) رغم إيمانه، وطاعته،

وصلاحه خائفاً من الله (عزّ اسمه)؟

الحقيقة أن الخوف من الله تبارك وتعالى ليس من كثرة الذنوب،

وإنما المعرفة بالله هي التي تكشف للانسان مدى حقارته، وفقره،

وتقصيره، وعدم حيائه من الله تعالى.

ثم المؤمن يخاف مقام ربّه حينما توسوس له نفسه بالمعصية، هنا

يتراجع ويحجم المؤمن عن المعصية بينما يتقدم من طغى وآثر الحياة

الدنيا.

الانسان المؤمن يخاف من مكر الله، يخاف من سوء العاقبة،

يخاف من التورط بالذنوب التي تغير النعم، يخاف من أن يتركه الله

إلى نفسه وإلى الناس، لذا ورد في الدعاء عن الإمام الحسين عليه السلام:

«وإلى غيرك فلا تكليني، إلهي إلى من تكليني؟ إلى قريب فيقطعني،

أم إلى بعيد فيتجهمني، أم إلى المستضعفين لي وأنت ربي ومليك

أمري». ^١

^١ - دعاء عرفة _ للإمام الحسين عليه السلام _ انظر مفاتيح الجنان.

يخاف أن يتركه تعالى إلى نفسه، وحينئذ فسوف يضل، لأن الشيطان (ابليس) عبد الله ثلاثة آلاف عام، ثم تركه الله إلى نفسه لحظة واحدة فضلّ فيها على ما ورد في بعض الروايات.

الانسان المؤمن بين مخافتين: «ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفاً، ولا يمسي إلا خائفاً، ولا يصلحه إلا الخوف»^١.
وهكذا في رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»^٢.

إذن فالولاء لله تبارك وتعالى الذي هو خاصية حزب الله كما تفيد الآية الكريمة، لا بد أن يتمثل بخوف الانسان من الله. فمن يريد أن يكون من حزب الله، من عباد الله الصالحين، ممن يسكنون غداً في جوار الله تعالى، لا بد أن يراجع نفسه، ومدى خوفه من الله عزوجل.

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الخوف والرجاء.

^٢ - المصدر السابق.

إن العلاقة بيننا وبين الله هي علاقة ذات طرفين، ونحن إذا أردنا حقيقةً أن يكتبنا الله في حزبه، ومحشرنا في جواره، ويرزقنا رضوانه، فإن علينا أن نحقق في أنفسنا اللياقة لهذا المقام العظيم. وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام: «من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فليُنظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب»^١.

* * *

الخوف والطاعة

ما هي طبيعة هذا الخوف؟

وبأي شكل يكون الانسان ال (حزب الله) خائفاً من الله تعالى؟

هذا السؤال يجيب عنه الإمام الصادق عليه السلام حين قيل له «إن قوماً من مواليك يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو. فقال عليه السلام: كذبوا ليسوا لنا بموالي، أولئك قوم ترجحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه»^٢.

^١ - تحف العقول _ وصايا أمير المؤمنين عليه السلام.

^٢ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الخوف والرجاء.

وهكذا أيضاً في رواية أخرى عنه عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»^١.

اذن فالخوف من الله تعالى هو ذلك الذي يدعو إلى الطاعة، إلى العمل بما يرضي الله، إلى اجتناب معاصيه، إلى الهروب من الذنوب، إلى الوقوف بوجه مغريات هذه الحياة الدنيا، وعدم الانغماس فيها. بينما حزب الشيطان هم أولئك الذين يؤثرون هذه الحياة الدنيا، وينغمسون في لذاتها المؤقتة تاركين وراءهم رضوان الله تعالى، وغير عابئين بغضبه عليهم.

وكما قرأنا في الحديث السابق:

«من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن

الدنيا»

إن الخوف من الله تبارك وتعالى، هذا الخوف المطلوب والذي هو من خاصيات المؤمن، من خاصيات حزب الله، هو ذلك الخوف الذي يدعوهم للطاعة، ويقربهم أكثر إلى الله (عزَّ اسمه)، والاحتماء بجواره، وطلب رضوانه.

^١ - المصدر السابق.

ولذا فإن الانسان (الحزب اللهي) هو الانسان المطيع لله تعالى
كما سنقرأ فيما بعد.

* * *

عدم الخوف من غير الله

هنا موضع الإختبار!

هنا يعرف الانسان أنه من حزب الله حقيقةً أم لا!

الانسان الـ (حزب اللهي) يخاف من الله وحده، ولا يخاف مما

عداه، مهما كان، ومهما اشتد، ومهما كلفه ذلك.

الخوف من الله وحده لأنه وحده هو الهدف، وهو المثل

الاعلى، وهو غاية هذا الانسان، لا مما سواه لأنه لا شيء سوى

الله هو هدف الانسان الذي يفترض نفسه من حزب الله.

ومن هنا فإن الانسان الحزب اللهي هو ذلك الانسان المقدام،

الشجاع، الذي لا يهاب الصعاب، والذي يهون عنده كل شيء

في سبيل الله.

الانسان الحزب اللهي هو الذي لا يتلكأ، ولا يتراجع، ويصمد

أمام التهديد، أمام التخويف، أمام الشدائد.



ألوان التخوف المرفوض

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الخاصية في حزب الله، ويعرض صوراً من التخوف المرفوض الذي لا ينبغي أن يكون لدى الانسان المؤمن.

التخوف من الحشود المضادة

يقول الله تبارك وتعالى في وصف أولئك الذين استجابوا لله ورسوله، أولئك الذين تولّوا الله والرسول، يقول الله تعالى فيهم:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^١.

مقابل هذه الحشود المضادة الانسان الحزب الهلبي لا يخاف، بل يتقدم، ويتوكل على الله ويقول: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾^٢.

^١ - سورة آل عمران _ ١٧٣.

^٢ - سورة التوبة _ ١٢٩.

إن التخوف من هذه الحشود هو من صفة حزب الشيطان، وأولياء الشيطان، الذين لم يرتبطوا بالله، وأفندتهم هواء، هؤلاء قال فيهم الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^١.

القرآن الكريم يستعرض لنا قصة أصحاب موسى عليه السلام الذين دخلوا في حزب الله، ورفضوا الشيطان وحزبه. أولئك الذين قال لهم فرعون: ﴿أَمْنُرِيهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنِيَ لَكُمُ إِن هَذَا لَمَكْرٌ مِّمَّكَ تُمُولُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا تَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ ثُرِّ الْأَصْلَابِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٢.

أمام هذا التهديد ماذا كان جواب هؤلاء الثلاثة القليلة، من اتباع موسى؟

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا نَنكُرُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَمْنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^٣.

هؤلاء هم حزب الله.

^١ - سورة آل عمران - ١٧٥.

^٢ - سورة الأعراف - ١٢٣ و ١٢٤.

^٣ - سورة الأعراف - ١٢٥ و ١٢٦.

هؤلاء الذين قالوا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ هم الذي عبروا عن روح الانسان المنتمي إلى الله، والواقف في صفوف حزب الله. اذن حزب الله لا يتخوف من الحشود المضادة، انما من الله وحده. والتخوف من الحشود المضادة بأي شكل كانت هو تخوف مرفوض، لا يتسم به الانسان الحزب اللهي.

التخوف من المقاطعة

والمؤمن الذي يتولى الله تبارك وجهه، ويرجو رضوانه، ويجعل نفسه في صفوف حزب الله، مثل هذا المؤمن لا يخشى أن يقاطعه الأعداء، ويبتعدون عنه، لا يخشى من الوحدة في سبيل الله، ولا يستوحش من طريق الحق وإن تركه الأبعدون والأقربون. ونحن نعلم أن من الوسائل التي يتبعها الأعداء في محاربة المؤمنين أشخاصاً أو أمةً هي المقاطعة، سواء السياسية أو الاقتصادية. لكن (حزب الله) فرداً أو أمةً لا يأبه لهذه المقاطعة، ويمضي في طريقه سوياً.

القرآن الكريم يتحدث عن موقف الكفار من المؤمنين الذي اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ

مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ^١.

وهذا هو ما يسمى اليوم بالمحاصرة الاقتصادية، لكن الأمة المؤمنة،
أمة حزب الله، وهكذا أفراد حزب الله جميعاً لا يباليون بمثل هذه
المقاطعة بكل صورها، ولا تخوفون منها.

وهنا نتذكر موقف الرسالي العظيم مثال (حزب الله) ونموذج
الانسان الحزب اللهي أبي ذر الغفاري الذي أبي أن يسكت وهو يرى
التلاعب بأموال المسلمين، وأحكام الإسلام، وكان أن نُقي إلى
الربذة، هنا نتذكر وصية أمير المؤمنين عليه السلام له حين أقبل يودّعه
قائلاً:

«يا أبا ذر، إنك غضبت لله فأرج من غضبت له، إن القوم
خافوك على دُنياهم، وخفتهم على دينك... يا أبا ذر لو أن
السموات والأرضين كانتا على عبدٍ رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له
منهما مخرجاً.

«لا يؤنسنك إلا الحق، ولا يوحشَنَّك إلا الباطل»^٢.

^١ - سورة المنافقون _ ٧.

^٢ - نهج البلاغة _ الخطبة ١٣٠.

التخوف من التسقيط الاجتماعي

وأحد السبل التي يتبعها الأعداء والخصوم في عملية الصراع السياسي مع تيار الإيمان وأبناء حزب الله هو محاولة تسقيط شخصيات هذا التيار، وبث التهم والشائعات عليها من أجل تفريق الناس عنها وتركها لوحدها في الساحة.

حينما يعجز الأعداء من الكافرين والمنافقين والفاسقين عن صد موج الإيمان، حينما يعجزون عن مواجهته من خلال البحث الحر، والمناقشة العلنية، حينما لا تتيح لهم الفرصة إعلان الحرب المسلّحة، فإنهم يلجؤون دائماً لنمط آخر من الحرب هو الحرب الاجتماعية، في محاولة لتسقيط الموجة الدينية اجتماعياً، وعزلها عن جسم الأمة، وجماهيرها.

لقد لاحظنا على مدى تاريخ الأنبياء، كيف كان خصوم الأنبياء يشنون عليهم حملة إعلامية من أجل تفريق الناس من حولهم. إن كل الأنبياء واجهوا مختلف عمليات الازدراء، والاستهانة، والتحقير، والاتهام، وبث الشائعات. وكل الأنبياء وأتباع الأنبياء صمدوا أمام هذا النوع من الحرب.

لقد قالوا عن خاتم الرسل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله أنه ساحر، وأنه مجنون، وأنه إنما يتعلم القرآن من رجل أجنبي، وسطروا له صنوف التهم هو وأتباعه.

لكن ما هو موقف الانسان المؤمن أمام هذه الشائعات؟

ما هو موقف الانسان الذي يريد وجه الله وحده لا يريد سواه؟

ما هو موقف من يعرف أن الله تعالى هو مولاه وسيده والوكيل

به، ولو سخط عليه كل الناس؟

إن موقف الرسل وأتباع الرسل وكل أبناء حزب الله أمام هذه

الحرب اللا أخلاقية هو الصمود والمضي إلى آخر الطريق، وعدم

خشية أي أحد سوى الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَ

يَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.^١

ويؤكد القرآن الكريم في وصف المؤمنين على خاصة أنهم

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.^٢ هذه الخاصية مهمة

جداً من حيث أن الاعداء يلجؤون دائماً إلى عملية توجيه اللوم،

والإهانة، ومحاولة خلق جو من الإحراج الاجتماعي، كل ذلك

١- سورة الأحزاب _ ٣٩.

٢- سورة المائدة _ ٥٤.

بغرض صد العاملين عن العمل، وبغرض محاربتهم نفسياً حتى يتراجعوا عمّا هم ماضون فيه.

* * *

ومن الجدير أن نشير إلى أن الائمة عليهم السلام وقد كانوا يومها هم وأتباعهم مستهدين بمثل هذه الحرب علّمونا ما هو الموقف أمام هذه الاتهامات والشائعات.

يقول الإمام الباقر عليه السلام في وصيته لواحد من أتباعه وهو جابر بن يزيد الجعفي:

«وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلّ وعز عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة ممّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فنواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك»^١.

المهم اذن هو أن تكون كما أراد الله تعالى منك، أما ماذا يقول الناس، وما هي الاتهامات والأقاويل التي يثونها فلا عليك منها شيء.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

^١ - تحف العقول _ ٢٠٦.

«واعلم أنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك...»^١

إن (الولاء) لله، والرسول، والذين آمنوا، يفرض على الانسان ال (حزب الله) أن يتحمل هذه الضريبة، ويصمد أمام هذه الحرب اللا أخلاقية، في الوقت الذي يراجع نفسه ليرى هل هو سائر في طريق مرضاة الله تعالى أم لا؟

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيها الناس اعلموا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه»^٢.

وهنا نود أن نستطرد قصة طريفة في زمن الإمام الرضا عليه السلام:
القصة تتحدث عن يونس بن عبد الرحمن وهو أبرز أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وكان وكيله وخاصته، وتحدثت بعض الروايات أن الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلاث مرات، وكان عليه السلام يُرجع الناس إليه لأخذ معالم الدين.

هذا الرجل العظيم كان محلاً لطعن العديد من أصحابه فيه، وكثرت عليه الشائعات، والشكوك والظنون.

^١ - المصدر السابق.

^٢ - تحف العقول _ ١٤٤.

تتحدث القصة أن يونس بن عبد الرحمن كان عند الإمام الرضا عليه السلام إذ دخل عليه جماعة من أهل البصرة، فأشار الإمام إلى يونس أن يدخل وراء الستر ولا يتحرك.

فدخل البصريون وأكثروا الوقعة والقول في يونس وعرضوا على الإمام صنوف التهم والشائعات ضد يونس، والإمام عليه السلام مطرق برأسه، فلما قاموا وانصرفوا أذن ليونس بالخروج، فخرج باكياً، فقال: جعلني الله فداك، أنا أحامي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي، فقال له الإمام عليه السلام:

يا يونس فما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً... ما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درّة ثم قال الناس بعة، أو بعة وقال الناس درّة، هل ينفعك ذلك شيئاً؟ فقال لا.

قال عليه السلام: «هكذا أنت يا يونس، إذا كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرّك ما قال الناس»^١.

* * *

^١ - رجال الكشي _ أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

وأحياناً يلجأ خط الانحراف، وأعداء حزب الله إلى اتهام المؤمنين بعدم الفطنة، وعدم الخبرة، وعدم الوعي، وأنهم من حقراء الناس، الذين لا قيمة لهم اجتماعياً.

يتحدث القرآن الكريم عن نوح عليه السلام وكيف واجهه الكافرون:
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئَالِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾^١.

وهكذا قال الكافرون لرسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلًا مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمًا﴾^٢.
وطلبوا منه أن يُبعد عنه هؤلاء المستضعفين من حزب الله ويطردهم.
إن هذا الطلب واجهه كثير من الأنبياء، ولعله كل الأنبياء، ولكنهم جميعاً رفضوا هذا الطلب، وأتباعهم صمدوا أمام هذا التحقير الاخلاقي.

قالوا لنوح: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَالِي رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣.

^١ - سورة هود - ٢٧.

^٢ - سورة الزخرف - ٣١.

^٣ - سورة الشعراء - ١١١ إلى ١١٤.

والله تبارك وتعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وآله قائلاً:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَفُطِنُوا هُمْ فَسُكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^١



إذن فعلامة الولاء لله، والانسان الذي هو من حزب الله أن لا ينهار ولا يتراجع أمام الأقاويل والشائعات التي يبثها عليه الخصوم.

إن الانسان ال (حزب الله) هو ذلك الذي يتعلم من تجربة الأنبياء، قادة حزب الله، كيف صمدوا هم وأتباعهم أمام هذا النمط من الحرب الشديدة الصعبة.

ولأن هذه الحرب شديدة، وقاسية فإن هناك من لا يصمد، هناك من يتراجع، هناك من ينهزم في وسط الطريق، ولا يسير قدماً باتجاه مرضاة الله.

القرآن الكريم يتحدث عن هذا النمط من الناس من الذين آمنوا لكن في قلوبهم مرض فيقول:

^١ - سورة الأنعام _ ٥٢.

﴿الْمُرْتَضَىٰ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾^١

هؤلاء يخشون سيوف الناس، ولوم الناس، ونسوا أن الله تعالى هو هدفهم ومقصدهم وليس الناس.

إن معنى الولاية لله تعالى التي هي قاعدة حزب الله أن يكون الله هو الهدف وليس الناس.

* * *

الفصل الخامس

الثقة بالله جل جلاله

- تفاوت درجات الايمان على أساس الثقة
- مجالات الثقة بالله ﷻ
- الأصالة
- الاستقامة
- شرعية الوسائل

وتولي الله تبارك وتعالى كما يعني حب الله، وخوف الله، كذلك
يعني الثقة بالله عز وجل.

فالانسان الذي يرتبط بالله، ويعطي ولاءه له، وينتمي إلى الله
تبارك وتعالى ليكون من حزبه، مثل هذا الانسان لا بد أن يكون
واثقاً به.

إن الثقة بالشيء هي مدلول طبيعي للولاء له، فكل من تولى
شيئاً، وربط نفسه به، وعقد قلبه على حبه، فإنما لثقته به.

إن من يتولى صديقاً من الأصدقاء، أو عالماً من العلماء، ماذا
يعني توليّه له؟ أو بالأحرى ممّ نشأ هذا الولاء؟

إنه نشأ من الثقة بصداقته وإخلاصه، ومعاونته، نشأ من الثقة
بعلمه وعدله وخبرته وإخلاصه في بيان الحقيقة بعد التعرف عليها.

وهكذا من يتولى جباراً من الجبابرة، وملكاً من الملوك، فإن ذلك
ناشيء من الثقة بقدرة ذلك الملك، وتقديمه العون اللازم في ساعات

العسر...

ونفس الشيء أيضاً حينما تمنح هذه الولاية للشرق أو الغرب،
لأمريكا الغربية، وروسيا الشرقية، إن هؤلاء الذين يوالون الشرق أو
الغرب يعبرون عن ثقفتهم بقدرات الشرق والغرب، وحضارة الشرق
والغرب، وجمال الحياة الشرقية أو الغربية.

أما المؤمنون الذين يتولون الله، هؤلاء الذين سمتهم الآية الكريمة بـ
(حزب الله)، هؤلاء لا يثقون بسوى الله تبارك وتعالى.

وسوف نرى أن هذه الثقة بالله تنعكس على القضايا والمواقف
الشخصية كما تنعكس على القضايا السياسية والدولية أيضاً.

تفاوت درجات الإيمان على أساس الثقة

والثقة بالله هي المحتوى الحقيقي للإيمان، وإيمان بلا ثقة ليس
بإيمان.

من هنا فإن المؤمنين يتفاوتون في درجة الإيمان على أساس درجة
ثقتهم بالله تبارك وتعالى.

إن أعلى درجة من درجات الإيمان هي اليقين، كما تحدثنا عن
ذلك قبلاً.

واليقين هو الثقة المطلقة.

عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: _

«الإيمان فوق الاسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين العباد شيء أقل من اليقين»^١.

أما حقيقة هذا اليقين الذي قلنا أنه الثقة المطلقة بالله تعالى فيشرحه لنا الحديث الشريف المنقول عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلي بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد...

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً.

فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله. وقال: إن لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟

فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزني وأسهر ليلي، وأظماً هو اجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني انظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب فضل الإيمان على الإسلام.

متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون. وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان»^١.

إن هذه الدرجة من الثقة العالية التي لا تقبل الشك، والرؤية الواضحة للغيب حتى كأنه عالم مشهود، إن هذه الدرجة هي التي حدث عنها أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين حين قال: «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون»^٢.

بينما نجد أن هذه الدرجة من الثقة مفقودة لدى كثير من المؤمنين، ومن هنا ذكر الحديث الشريف أنه لم يقسم بين العباد شيء أقل من اليقين.^٣

* * *

إن (حزب الله)، هم الذين يثقون بالله تبارك وجهه، لذا فقد رفضوا الانتماء إلاّ إليه، والارتباط إلاّ به، فكل ما عداه وهم، وكل ما

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب حقيقة الإيمان واليقين.

^٢ - نهج البلاغة _ الخطبة رقم ١٩٣.

^٣ . أصول الكافي _ باب اليقين.

بحوث في حزب الله ٧٨.

عداه وسيلة إليه لا أكثر، أمّا الهدف، أما المعبود، أما الحقيقة كلها فهي الله، و﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^١.

إن الآية الكريمة التي تحدثت عن حزب الله، أشارت إلى هذا الحصر، إلى هذه الوجدانية في الثقة، وفي الارتباط، فقالت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ يعني لا وليّ لكم سواه.

أمّا الولاء للرسول صلى الله عليه وآله والذين آمنوا فهو تابع للولاء لله، وليس مستقلاً في نفسه كما سنعرف إن شاء الله تعالى.

* * *

مجالات الثقة بالله (جل جلاله)

في أي مجال نثق بالله تعالى؟

وحزب الله حينما تولى الله تعالى ولاءً مطلقاً، ورفض الولاء لغيره،

عن أي ثقة كان يعبر؟ وفي أي مجال؟

إن ثقتي بالشخص (س) أو بالقضية (د) دائماً لا تكون ثقة إلاّ

في جانب من الجوانب، وفي زاوية من الزوايا.

فأنا مثلاً أثق بعلمه، لكن لا أثق بشجاعته.

^١. سورة النساء _ ١٢٦.

أو أثق بإخلاصه، ولكن قد لا أثق برجاحة رأيه.
 أو أثق بأدبه وشعره، ولكن لا أثق بفلسفته وفكره. وهكذا
 دائما نثقتنا بكل شيء في هذه الحياة الدنيا هي ثقة محدودة،
 وخاصة في جانب أو اثنين أو ثلاثة، ولا تمتد إلى كل الجوانب.
 أما نثقتنا بالله فهي تستوعب كل الجوانب والمجالات، ومن هنا
 فقد حصرنا الولاء به وحده لا شريك له.
 الثقة بقدرته، والثقة بعلمه ورقابته وإطلاعه علينا، والثقة بنصره
 ومساعدته، والثقة بحكمته وعدالته، والثقة بلطفه ورحمته.

* * *

أ _ الثقة بقدرته

نحن نثق بقدرته التي علت فوق كل شيء، هذه القدرة التي لا
 يعجزها شيء في الارض ولا في السماء، هذه القدرة التي تقول
 للشيء كن فيكون، هذه القدرة التي تتجاوز الأسباب والعلل الطبيعية
 وتحكم عليها.

يتحدث المؤرخون: أن رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد
 المعارك ابتعد عن أصحابه بينما كان أحد الأعداء يرصده ويتربص

وابتعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم استلقى للراحة، وما كان من ذلك العدو إلا أن أقبل إليه على حين غفلة، وجلس على صدره شاهراً سيفه قائلاً: من ينقذك مني يا مُحَمَّد؟

انظروا إلى هذه الثقة المطلقة، إلى اليقين الذي ما بعده يقين، لقد قال له الرسول صلى الله عليه وآله بكل اطمئنان: الله!

وتذكر الرواية أن هذا الشخص ارتعد، وسقط السيف من يده، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن قام، وطرحه أرضاً، شاهراً عليه السيف قائلاً: «والآن من ينقذك مني» ولم يكن من هذا الرجل إلا أن أسلم قائلاً: «أشهد ألا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله»^١ وينقل المؤرخون عن خليل الله إبراهيم عليه السلام حين أُلقي به في النار، فبينما هو يهوي إذ أقبل إليه جبرئيل من عند الله قائلاً: يا إبراهيم: ألك حاجة؟

ولم يكن أحد يومذاك أشد حاجة من إبراهيم، والنار توشك أن تلقفه، لكنه ماذا قال؟ قال لجبرئيل: أمّا إليك فلا!^٢

^١ - بحار الأنوار _ حياة النبي صلى الله عليه وآله.

^٢ - انظر تفسير الميزان _ ج ١٧ - ص ٣٠٨.

لأن الله تعالى وحده هو القادر على إنقاذ إبراهيم، أما هذا الملك فهو واسطة لا أكثر، والله تعالى قادر على أن ينقذه بلا واسطة، أن يقول للنار ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^١.



ب _ الثقة بحضوره

ونحن نثق بحضوره معنا، وعلمه بسرائرنا، وسماعه لدعائنا ومناجاتنا، وأنه أعلم بنا من أنفسنا، وأقرب إلينا من جبل الوريد. ولأنه حاضر معنا، ويشهد حالنا، فإننا نثق بعونه ونصره وعدم تخليته عنا، حتى لو انقطعت بنا كل السبل، وتخلي عنا كل الناس، بل وإننا لنقطع الثقة والأمل بكل أحد سواه، وبكل سبيل من السبل المادية.

وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلاّ أعطاه فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلاّ من عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلاّ أعطاه»^٢.

^١ - سورة الأنبياء _ ٦٩.

^٢ - الأخلاق _ لسيد عبد الله شبر _ ٢٨٤.

* * *

ونؤثر هنا أن ننقل قصتين من تاريخ الأنبياء عليهم السلام يعبران عن درجة الثقة العظيمة بالله تبارك وتعالى، وحضوره، وشهادته، وتدخله في مسيرة الايمان.

الاولى: قصة موسى عليه السلام حين طارده فرعون وجنوده، وانتهوا إلى البحر، وأغلق عليهم طريق الفرار. هنا انقطعت كل السبل، وهنا قال أصحاب موسى عليه السلام: «إنا لمدركون» لكن موسى عليه السلام وهو نبي الله وكليمه قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^١.

إنها كلمة تعبر عن غاية في الثقة لا يمكن أن تشرحها العبارة، البحر من أمامهم، والعدو من ورائهم، وهم يعلمون أن لا قدرة لهم على مواجهة جيش فرعون، إن كل ما حولهم يقطع الأمل، وما هو إلاّ الإبادة أو التسليم، أو يلقوا أنفسهم لتتلقفهم أمواج البحر، ومع ذلك فقد قال موسى بعزم عجيب ﴿كَلَّا، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

* * *

والقصة الثانية قصة نوح عليه السلام وهو ﴿يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مِنْ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾^١.

حقاً إن موقف نوح عليه السلام وهو يصنع الفلك، بينما ليس هناك بالرؤية المادية ما يفسر ذلك، حقاً إنه موقف يدعو لسخرية الأعداء الجهلاء!

وماذا يستطيع أن يجيبهم اذا سألوه؟

وبأي وجه معقول يستطيع أن يفسر هذا العمل؟

وكيف يردّ السخرية؟

بل وكيف لا يتردد هو عن هذا العمل الغريب المحير؟

انظروا ماذا قال:

﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^٢.

هذه هي الثقة بقدرة الله، وبعلم الله، وحضور الله معنا، وتدخّله في

شؤون عباده.

* * *

^١ - سورة هود _ ٣٨.

^٢ .سورة هود _ ٣٨.

إن حزب الله فرداً أو أمةً يثق دائماً وحقيقة بأن الله معه، وطالما هو معه فإنه ناصره لا محالة اليوم أو غداً.

وهذه الثقة بالله تبارك وتعالى هي التي تمكن أمة الاسلام، أمة حزب الله من الثبات والاصرار والاستقامة أمام كل الزعاع، وتمنحها القدرة على الصمود أمام المقاطعات الاقتصادية، والعسكرية التي تمارسها دول الاستكبار العالمي.

إن هذه الثقة بالله تعالى هي التي مكنت المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وآله من الصمود ثلاثة أعوام في الشعب حيث قررت قريش مقاطعتهم كاملاً.

وهذه الثقة بالله هي التي مكنت الرسول صلى الله عليه وآله وأمة الرسول، من إعلان استقلالها عن امبراطورية القياصرة، وامبراطورية الأكاسرة، بل ومحاولة جر هاتين الامبراطوريتين إلى رسالة الاسلام.

وهذه الثقة عينها هي التي مكنت الجمهورية الإسلامية في إيران — شعباً ودولةً — من الصمود أمام تأمر الشرق والغرب، وهي تعلن على الدوام رفضها للشرق والغرب معاً، في الوقت الذي لا يصدق أحد بأن القدرات المادية التي تملكها الجمهورية الإسلامية كافية للدخول في مواجهة سافرة مع الشرق والغرب.

إن هذه الثقة بالله هي التي دعت الإمام الخميني رحمه الله يقول في اليوم الأول من العدوان الصدامي على إيران، «الخير فيما وقع» ولولا ذلك كان شبح الهزيمة النفسية واضحاً في وجوه العديد العديد من مسؤولي الدولة السياسيين والعسكريين.

إن أمة حزب الله هي الأمة الواثقة بنصر الله، وبحضوره معها، هذا الحضور الذي لا ينقطع عنها، ولا يمكن أن يخذلها.

* * *

وهذا الشيء يقال عن الفرد ال (حزب الله)، فهو ذلك الانسان الذي يثق بأن الله معه أينما كان، وأن الله تعالى لن يخذله، ولن يتخلى عنه، ومن هذه الثقة يستمد العزم والتصميم والثبات.

الانسان ال (حزب الله) لا يستوحش من طريق الحق حتى لو كان وحده، لماذا؟

لأنه من حزب الله، ولأن الله هو ناصره ومؤيده، وحاشا الله أن يترك عبده لوحده ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^١.

إن الكثرة العددية بالنسبة للانسان ال (حزب الله) ليست ميزاناً، ولا يهمه أن يكون معه أحد أو لا!

^١ - سورة الزمر _ ٣٦.

وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام:
«لو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله
لجعل الله له منهما مخرجاً»^١.

ج _ الثقة بالمنهج الالهي

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^٢.

الثقة بعلم الله تبارك وتعالى تدعو حتماً للثقة بشريعته ودينه.
ومن هنا فإن الانسان المؤمن ال (حزب الله) هو الذي يثق ثقة
مطلقة بأن شريعة الله لا تخطيء، وأن كل ما اختار الله فيها من
حرام، وحلال، وواجب، فهو في مصلحته وخيره، لأن الله يعلم ما لا
تعلمون.

الانسان الذي يتولى الله، ويكون من حزب الله تعالى، هذا
الانسان لا يعترض على حكم الله، بل ولا يشك في صحته،

^١ - نهج البلاغه _ الخطبة ١٣٠.

^٢ - سورة الانعام _ ١٥٣.

وجدارته، ولا يتأخر لحظةً عن تطبيقه وامتهاله، حزب الله هم أولئك الذين ﴿لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾^١. ومهما تقلبت الأيام والأحوال والحضارات والأزمان فإن حزب الله يعرفون «ان حلال مُحَمَّد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، وحرام مُحَمَّد صلى الله عليه وآله حرام إلى يوم القيامة»^٢. ومن هنا فهم لا يستوردون شرائع ودساتير، ولا يتأثرون بقوانين الشرق أو الغرب، ولا يحيدون عن شريعة الله، ولا يتبعون السبل فتفرق بهم عن سبيله.

* * *

الأصالة

إن الثقة بالله تعالى التي هي روح الولاء له عزوجل، هذه الثقة تكون لدى الانسان ال (حزب الله) حالة الأصالة. الأصالة في تفكيره، الأصالة في فهم الدين، الأصالة في تقييم منهجه السياسي الاسلامي.

إن هناك فريقاً من الناس يؤمنون بالإسلام، لكن لا يملكون هذه الأصالة في فهمه، أو بالأحرى هم لا يملكون أصالة في الشخصية،

^١ - سورة النساء ٦٥.

^٢ - بحار الأنوار ٣٥:٢٦.

ومن هنا فهم يلجؤون في فهم إسلامهم، وبناء منهج حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلى عملية استيراد من الشرق والغرب، والتقاط من هنا وهناك، ويخلقون مزيجاً معقداً متناقضاً زاعمين أنه الإسلام.

إن هذه التبعية في فهم الإسلام ناشئة بالأساس من عدم الثقة بالنهج الإلهي، والتأثر بالاتجاهات المنحرفة الشرقية والغربية، وعدم الاطمئنان للإسلام المحمدي القرآني الأصيل.

أما (حزب الله) الذين تولوا الله والرسول والذين آمنوا فهؤلاء يرفضون بشكل قاطع التبعية والحالة الاستيرادية، ويرفضون أي تمايل في المنهج إلى الشرق أو الغرب، لماذا؟

لأن القرآن الكريم علمهم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^١.

ولأن القرآن الكريم علمهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾^٢. وعلى ذلك فإن حزب الله يريدون حضارة لا شرقية ولا غربية، وسياسة لا شرقية ولا غربية، ومنهج حياة لا شرقي ولا غربي، معتمداً على الإسلام، على الإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وآله: ﴿لَيْسَ

^١ - سورة الأنعام - ١٥٣.

^٢ - سورة المائدة - ٥٠.

الْبِرَّ أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^١.

* * *

الاستقامة

والثقة بالنهج الإلهي كما كانت تدعو إلى الأصالة، وعدم الوثوق
بالمناهج الأخرى، كذلك فإن الثقة بالنهج الإلهي تدعو إلى الثبات
والاستقامة أمام أمواج الفتن، أمام ظاهرة الانحراف التي قد تجر بعض
الشخصيات المعروفة بإسلامها، وفهمها، وعمقها.

الانسان ال (حزب الله) هو ذلك الانسان المستقيم. المستقيم
دائماً مهما انحرف المنحرفون، وضل الضالون.

المستقيم الذي لا يجيد عن دينه، ورسالته، ونهجه، مهما تقوّل
المتقولون.

لماذا؟ لأن هذا الانسان المؤمن تولى الله تعالى، وهو لا يتولى أية
شخصية أخرى، أو كيان آخر، أو جماعة من الجماعات إلا حيث
تكون مع الله، وسائره طبق الموازين الإلهية، فلا يضعف إذن ولا

^١ - سورة البقرة _ ١٧٧.

يتزعزع موقف الانسان ال (حزب الله) حينما ينحرف زيد أو عمرو، أو جماعة أ، أو جماعة ب، أو حزب س، أو حزب ص.
إن مثل هذه الانحرافات لا تقلق الانسان الحزب الله، ولا تدعوه للشك في موقفه، لماذا؟

لأنه من اليوم الاول لم يكن له ثقة مطلقة إلا بالله تعالى، أما الأشخاص والكيانات، الأحزاب، الجماعات، فهو لا يثق بها ثقة مطلقة، إنما ينظر اليها من زاوية الحق، فإذا حادت عن الحق فهي التي تسقط، وسرعان ما يتخلى عنها، ويتبرأ منها، ويستقيم على نهج الحق.

في التجربة الإسلامية الأولى على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وجدنا كيف انحرف عدد من الشخصيات!! بل وانحرفت جماعات وجماعات، حتى كانت حروب دامية ضد مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام، ومع ذلك فإن هذه الانحرافات لم تزعزع موقف حزب الله الأوائل من أمثال أبي ذر، وعمار، والمقداد، وسلمان الفارسي، وحجر بن عدي، ومالك الأشر.

وفي التجربة الإسلامية الثانية المعاصرة (الجمهورية الإسلامية في إيران) وجدنا أيضاً كيف انحرف عدد من الشخصيات ذات الطابع

الإسلامي وانحرفت جماعات، وأحزاب كانت تسبغ على نفسها أيضاً الطابع الإسلامي، وتتظاهر بالإسلام، وتصرخ للعدالة!

ومع ذلك فإن هذا الانحراف لم يززع موقف أمة (حزب الله) هذه الأمة التي عرفت الدين، ومقاييس الدين، وطريق التعرف على الدين. هذه الأمة التي عرفت أن الدين لا يؤخذ من سوى ولي الأمر، المرجع الديني العادل الخبير الذي «الراد عليه كالراد على الله»، وحتى هذا المرجع هو الآخر محكوم لمقاييس القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والشعب يرتبط بهما قبل ارتباطه بالغير.

إن (حزب الله) لا يعطي قداسات بالحنان، ولا يؤله سوى الله تبارك وتعالى، وكل أحد سوى الله قابل للانحراف إلا من عصم الله تبارك وتعالى، وهو الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة السليمة. إن (حزب الله) لا يقُدّس إلا من محصته التجارب وأثبت أنه ولي من أولياء الله.

إن (حزب الله) لا يقُدّس شخصيات مجهولة، أو قيادات مجهولة، مهما منحت من ألقاب وعناوين وهمية.

وحزب الله لا ينخدع بالعناوين والألقاب.

لا ينخدع بتسطير الأجماد، والنضالات، ولا بإعطاء عناوين خالية من محتوى.

إن الاستقامة في حزب الله هي مدلول من مداليل الثقة المطلقة بالنهج الإلهي.

* * *

شرعية الوسائل

وحيث نثق ثقة مطلقة بالنهج الإلهي، والشريعة الإلهية، فإننا نثق بذلك أهدافاً، ووسائل.

إن الانسان ال (حزب الله) كما يطلب دائماً أن تكون الأهداف شرعية، كذلك يطلب لتحقيق أهدافه وسائل شرعية.

فهو لا يتذرع لتحقيق أهدافه بأية وسيلة كانت، وحين تنهى الشريعة الإسلامية عن استعمال الكذب، والتهمة، والفتنة، والظلم، والخيانة، فإن الانسان الحزب الله يمتنع عن ممارسة هذه الأمور.

إن مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) غير معترف به على إطلاقه، ومن هنا فإن ممارسات (حزب الله) تختلف عن ممارسات غيره من الأحزاب.

إن حزب الله يثق بالوسائل التي رسمتها الشريعة له ولا يتعدها، وقد يجد أحياناً كثيراً من الاحراج والصعوبات، لكنه يتحمل، ويصمد، ولا

يتورط في ممارسات غير شرعية، والحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام يقول:

«ما ظفر من ظفر بالإثم، والغالب بالشر مغلوب»^١.

وهذه النقطة سنستوفيها بشرح أكثر _ ان شاء الله تعالى فيما

بعد.^٢

* * *

^١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٢٠٤.

^٢ - يمكن مراجعة كتابنا (المذهب السياسي في الاسلام) فصل مبادئ السياسة الاسلامية.

الفصل السادس

اطاعة الله جل جلاله

- الاطاعة في السراء والضراء
- الاطاعة في التكاليف الصغيرة والكبيرة
- الطاعة لله وحده
- لا يُطاع الله من حيث يُعصى

لحد الآن كنا نتحدث عن البعد النفسي لولاء الله تبارك وتعالى الذي قلنا أنه صفة حزب الله.

وقد ذكرنا في هذا المجال حب الله، وخوف الله، والثقة بالله، والآن علينا أن نبدأ بشرح البعد العملي للولاء، فقد قلنا منذ البداية إن الولاء لله عزوجل ينشأ من إيمان به تعالى، ثم هذا الإيمان النظري ينعكس على القلب ليخلق نمطاً خاصاً من العلاقة النفسية هي الحب، والخوف، والثقة، ثم ينعكس من هذا المجال القلبي إلى ساحة العمل، فيكوّن للإنسان المؤمن الحزب اللهي طبيعة خاصة من العمل، ونهجاً خاصاً في السلوك، وطريقة معينة في التعامل السياسي والاجتماعي.

* * *

إن أول تلك الانعكاسات العملية للإيمان بالله وولاءه هو (إطاعة الله).

فمن يتولى الله تعالى يطيعه، ومن يريد أن يكون من حزب الله يخضع لكل أوامر الله ويحقق كل ما يريده منه خالقه ومولاه، وبمقدار ما يكون الانسان مطيعاً أكثر بمقدار ما يكشف ذلك عن عمق إيمانه، وعن صدق ولاءه، وأيضاً بمقدار ما يكون مطيعاً أكثر يكون أكثر إخلاصاً لله، وأصدق انتماءً لـ (حزب الله).

وأكرر القول بأننا حين ندعي لأنفسنا أننا من حزب الله وأننا لا ننتمي إلى أي حزب آخر، يجب أن يدلل سلوكنا وعملنا على إخلاصنا لله تعالى، وصدق ولاءنا له.

إن حزب الله يختلف عملهم، وسلوكهم، وأخلاقهم عن حزب الشيطان عملاً، وسلوكاً، وأخلاقاً، إن علينا أن نمتحن أنفسنا في مقدار طاعتنا لله، وبعدها عن معاصيه، وهنا نتأكد أننا حقيقة من حزب الله أم لا؟

إن الله تبارك وتعالى يحب الصالحين، ويتقبل من المتقين، وإنما يقبلنا في حزبه، ويجعلنا من جنده حين نكون عباداً صالحين متقين.

* * *

في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«لا تذهب بكم المذاهب، فو الله ما شيعتنا إلا من أطاع الله

عزوجل».

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً يقول فيها:
 «يا جابر أيكثفي من ينتحل التشيع أن يقول بجنا أهل البيت،
 فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر
 إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر
 بالوالدين والتعاهد للجيران...»

قلت: يا بن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة؟
 فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب
 علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً؟ فلو قال: إني أحب رسول الله
 صلى الله عليه وآله فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام ثم
 لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا
 لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزوجل
 (وأكرمهم عليه) أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر: «والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة»^١
 الإمام عليه السلام في هذه الرواية يشرح معنى الولاء، ويذكر بالخصوص
 البعد العملي له، ويؤكد أنه لا ولاء ولا حبّ بدون إطاعة، وتقوى،
 وعمل.

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الطاعة والتقوى.

وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن»^١. ومعناه أن الإيمان يحتاج إلى ترجمة عملية، الإيمان لا يجتمع مع هذه المعاصي، ف «من زنى خرج من الإيمان، ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الإيمان»^٢. كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام.

* * *

الإطاعة في السراء والضراء

والمؤمن الحقيقي هو ذلك الذي يعرف مقام ربه ويطيعه، سواءً في حالات اليسر أو حالات العسر، في حالات الرخاء أو حالات الشدة.

لماذا؟

لأن الله تعالى حينما يكون هو هدف الانسان المؤمن وهو غايته، اذن يجب أن يسير باتجاه ذلك الهدف مهما كان الطريق، ويجب أن يسير على الدوام ولا يتوقف، لأن المسيرة إلى الله تعالى لا تتوقف على أيّ حال، وهو سيصل إلى الله تعالى مهما تلكأ في العمل

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الكبائر.

^٢ - المصدر السابق.

وتأخر في الطريق، لكنه حينئذ سيصل إلى الله تعالى وهو غير متهيء ولا مستحق لأن يكون في جواره.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ فَمِمَّا مِنْ أُوْتِي كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْتَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَمِمَّا مِنْ أُوْتِي كِتَابَهُ مَرَأً ظَهْرًا فَسَوْفَ يَدْعُونَ ثُبُورًا وَيَصَلُّوْنَ سَعِيرًا﴾^١.

إن صفة الانسان المؤمن إيماناً حقيقياً لا إيماناً مصلحياً، وبعبارة أخرى: إن صفة حزب الله، وأتباع الله، لا حزب المصالح وأتباع المنافع، إن صفة هؤلاء هي أنهم دائماً يتقربون إلى الله، ويعرجون إليه، ويتحجبون إليه بالطاعات، يستوي عندهم حالات الشدة وحالات الرخاء، وبذلك يكونون من خير الناس كما ورد في الرواية عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال:

«من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس»^٢.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس»^٣.

^١ - سورة الانشقاق _ ٦ الى ١٢ .

^٢ . أصول الكافي _ ج ٢ - باب أداء الفرائض .

^٣ . المصدر السابق .

أما الإمام الحسين عليه السلام فيتحدث عن الصنف الآخر من الناس الذين يتخذون الدين تجارة فيقول:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فاذا محصّوا بالبلاء قل الديّانون».^١

إن هؤلاء القلّة عند التمحيص هم حزب الله، وهم الذي يجعلهم الله في حزيه وفي جنده ويحشرهم في جواره.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إنا لا نعدّ الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا متبعاً مريداً، ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزيّنوا به يرحمكم الله، وكبدّوا أعدائنا به ينعشكم الله».^٢

الإطاعة في التكاليف الصغيرة والكبيرة

والانسان المؤمن هو الانسان الملتزم بشكل عام، وليس هو ذلك الذي يتحكم بأوامر الله وأحكام الشريعة، فيلتزم ببعض ولا يلتزم بالبعض الاخر.

^١ . حياة الحسين _ ج ٢- القرشي.

^٢ . أصول الكافي _ ج ٢- باب الورع.

هناك من الناس لا يتخرجون في ارتكاب بعض الآثام، وتجاوز بعض التكاليف بحجة أنها صغيرة وغير مهمّة. وهناك قسم آخر من الناس يطيعون الله في التكاليف السهلة التي لا صعوبة فيها، ويعصونه في التكاليف الصعبة الشاقة.

أمّا القسم الأول من الناس فهو الذي ينبه إليه الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: «اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تُغفر.

قيل: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك»^١.

فهذا القسم من الناس يستهينون بالمخالفات الصغيرة ويحسبونها هينة ولا يباليون في الاقدام عليها.

أما القسم الثاني من الناس فهم الذين يشير إليهم القرآن الكريم بالقول: ﴿الْمُرْتَدَّ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرُ لَخَيْرٌ لِمَن اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^٢.

١- الأخلاق _ السيد عبد الله شبر - ٢١٨.

٢- سورة النساء _ ٧٧.

هؤلاء مستعدون لاقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لأنها لا تكلفهم الشيء الكثير، أما القتال في سبيل الله تعالى فهم يتلكؤون فيه ولا يقبلونه لأنه يكلفهم أنفسهم.

أما المؤمن حقيقة، أما من يريد أن يكون من حزب الله بمعنى الكلمة الحقيقية فهو ذلك الانسان الملتزم على الدوام، وبأي حال من الاحوال.

هو ذلك الانسان الذي لا يؤثر على طاعة الله تعالى شيئاً مهما كان، وهو ذلك الانسان الذي لا يتناقل في امتثال أوامر الله حتى لو كلفته دمه، ونفسه.

ومن ناحية أخرى هو ذلك الذي يجتنب الآثام صغيرها وكبيرها، لأنه لا ينظر إلى صغر الذنب وإنما ينظر إلى عظمة الخالق، فتعظم عنده كل الذنوب.

نعم، الانسان المؤمن قد يذنب، قد يرتكب الصغائر، لكنه سرعان ما يتوب، سرعان ما يرجع إلى الله ويستغفر ويعتذر، وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^١.

وحول معنى كلمة (لم) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «اللم:

الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه»^١.

إن صفة الالتزام بطاعة الله تبارك وتعالى سواءً في صغار التكليف

أم كبارها، واجتناب المعاصي صغارها وكبارها، إن هذه الصفة هي

المشار إليها في القرآن الكريم حينما يستعرض التزامات المؤمنين

وسلوكلهم فيقول: _

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللَّغْوِ مَعْرُضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا
عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^٢.

إن الفلاح والنجاح هو نصيب هؤلاء الناس، وهذا الفلاح هو

الذي أعطي لحزب الله في قوله تعالى: ﴿إِن حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾.

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الكبائر.

^٢ - سورة المؤمنون _ ١ الى، ١٠.

إذن، من يريد أن يكون من حزب الله يجب أن يحقق هذه الالتزامات، ومن يريد أن يكون مفلحاً يجب أن يحقق شرط الفلاح وهو صفة الالتزام، لا كأولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وتلك هي صفة المنافقين من حزب الشيطان.

الطاعة لله وحده

ولمّا كان الله تعالى هو مولى المؤمنين فهو وحده الذي يطاع، ولا يمكن أن يتخذ الانسان المؤمن ولياً، وسيداً، ومطاعاً سوى الله.

نعم، كل من فرض الله إطاعته، يكون مطاعاً أيضاً، لماذا؟

لأن إطاعته هي إطاعة الله تعالى، ولأن الراد عليه كالراد على الله.

الله تبارك وتعالى أكد على إطاعة الرسل، والرسل أكدوا على

إطاعة الأوصياء، والأوصياء بدورهم أكدوا على إطاعة الفقهاء،

وهكذا تبدأ السلسلة التالية: «الراد عليهم _ الفقهاء _ كالراد علينا

_ والراد علينا _ الأوصياء _ كالراد على الله».^١

إذن فالطاعة دائماً هي لله وحده لا شريك له، والانسان المؤمن

من حزب الله دائماً يأخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار، ويستشعر

^١ - وسائل الشيعة _ كتاب القضاء.

دائماً وأبداً بأن المسألة مسألة الله، وإطاعة الله، فحينما يطيع يعرف لماذا يطيع، وحينما يرفض يعرف لماذا يرفض، وهكذا هو يعرف لمن يطيع ولمن يرفض؟

ومن هنا فان أبناء حزب الله لا يتورطون أبداً في مرض الصنمية العمياء، ولا يتخذون أبداً أنداداً من دون الله تقرّبهم زلفى إلى الله! فهم أولاً لا يقبلون أية ولاية وأية قيادة غير من فرض الله تعالى طاعتهم وهم (الأنبياء، الأوصياء، الفقهاء) حسب الشروط المحددة لذلك شرعاً.

فالسلطان _ غير الشرعي _ لا ولاية له ولا طاعة، والقاضي _ غير الجامع للشرائط _ لا ولاية له ولا طاعة، والقيادات الحزبية لا ولاية لها ولا طاعة، لأن كل هذه القيادات لا تستمد شرعيتها من الله تبارك وتعالى.

وبالتالي فإن الانسان (الحزب الله) غير مستعد لأن يتخذ منها أسياداً، وأرباباً، لا تقبل الرد، والنقد، والرفض.

ومن ناحية أخرى فإن الانسان (الحزب الله) حينما يطيع الأنبياء والأوصياء والفقهاء يعرف هنا أيضاً حدود الطاعة، فهو لا يطيعهم إطاعة عمياء، وهو لا يتخذ منهم أرباباً من دون الله،

وهو يرتبط بالله أولاً، وقبل كل شيء، ومن هنا ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام حين سأله أحد أصحابه قائلاً: «جُعِلت فداك ما العبادة؟ قال: حسنُ النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها. أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ.

قال: قلت جعلت فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ فقال: أليس تكون مع الإمام موطناً نفسك على حسن النية في طاعته، فيمضي ذلك الامام، ويأتي إمام آخر فتوطن نفسك على حسن النية في طاعته؟ قلت: نعم. قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ»^١.

ومعنى هذا أنه لا توجد قيادة مطلقة لا تتبدل، ولا تتغير، والانسان الحزب اللهي يقبل بإمامة أي إمام معين من الله تعالى، ولا يحدّد لنفسه قيادة ثابتة يتخذها رباً من دون الله عزوجل. إن الانسان الحزب اللهي لا يكون كأولئك الذين اتخذوا عيسى وأمه إلهين من دون الله، ولا يكون كأولئك الذين اتخذوا

^١. أصول الكافي _ ج ٢ - باب العبادة.

أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ولا يكون كأولئك الذين اتخذوا قيادات وهمية، استبدلوها بقيادة الأنبياء، والأوصياء، والمرجعية الدينية النابتة عنهم.

لا يطاع الله من حيث يعصى

والله تبارك وتعالى كما بيّن لنا الطاعات ودعانا لإلتزامها كذلك بيّن لنا حدودها، وكيفيتها، والطريق إليها.

ومن هنا فإن الانسان المؤمن كما يحرص على تلك الطاعات، كذلك يحرص على سلوك نفس الطريق المرسوم اليه شرعاً من أجل الوصول إليها.

ومعنى ذلك أنه لا يمكن الوصول إلى الغايات والأهداف الدينية بوسائل غير شرعية، وبطرق غير شرعية، وهذا معنى ما يذكره الفقهاء: (لا يُطاع الله من حيث يعصى)، يعني أنك لا تستطيع أن تطيع الله تعالى وتقترب إليه بطريق لا يرتضيه.

هذه مسألة مهمّة في (حزب الله).

إن حزب الله الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا يعرفون أن معنى توليهم لله الإطاعة له في الأهداف وفي الوسائل، في أصل

العبادة وفي كفييتها وحدودها، وأن أي تردد في ذلك هو شائبة نفاق، وأن أي خروج عن الطريقة المرسومة شرعاً هو خلل في الاخلاص لله تعالى.

لنضرب مثلاً: _

إنني أريد توحيد صفوف الأمة، و صفوف العاملين للإسلام، وهذا أمر حسن وجيد، ولكن لا أستطيع الوصول إلى ذلك من خلال قمع كل من يريد التحرك والنشاط الإسلامي غيري بحجة أن هذا التحرك يمزق الصفوف، ويفرق الكلمة، لا أستطيع الوصول إلى الوحدة من خلال سلب حريات العاملين للإسلام، وسلب حريات الجماهير المسلمة، لماذا لا أستطيع؟ لأن هذه الوسيلة غير شرعية.

فالإسلام دعا إلى الوحدة، ولكن رسم الطريق إليها، وحدد لها وسائل شرعية، منها التعاون على البر، وحسن الظن بالأخ المؤمن، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وأن تقدم له النصيحة، وأن تتشاور معه وتستشيريه، وأن تجادله بالتي هي أحسن، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيًّا حَمِيمًا﴾^١.

أما أن اطلب الوحدة من خلال طريق الكبت، والحجر، والمضايقة، والضغط على العاملين، ومحاصرة نشاطهم، وهكذا محاولة عزلهم، وتسقيطهم، وبث الشائعات عليهم في وسط الأمة، فهذا العمل غير شرعي، ولا يرضي الله، وليس من أساليب حزب الله، وهو تماماً ما قال فيه الفقهاء وجاءت به الروايات: «لا يطاع الله من حيث يعصى».

ونأخذ مثلاً آخر: _

إنني _ فرضاً _ أملك رؤية سياسية معينة، وأرى أنها هي الأفضل، وأن العمل عليها هو الذي يحقق مصلحة إسلامية أكبر، لكن إذا كانت القيادة الشرعية المتمثلة بالمرجعية الدينية الرشيدة تحمل رؤية أخرى، ولها موقف آخر يختلف تماماً مع رؤيتي وموقفي، فهنا لا أستطيع أن أعمل على رأبي، وأرفض موقف القيادة الشرعية بحجة أنها على خطأ واشتباه، وأن رؤيتي السياسية هي الأفضل للإسلام!

لماذا لا أستطيع؟

لنفس القاعدة المتقدمة «لا يطاع الله من حيث يعصى».

فالمرجع الديني: «الراد عليه كالراد على الله» كما ورد في الحديث الشريف، والشارع المقدس ألزمننا باتباع هذا الطريق حتى لو خالف رأينا

الشخصي، فأنا اذن لا أستطيع أن أرفض هذا الطريق الشرعي، وأسلك طريقاً آخر لا يرضاه الله تعالى بزعم أي أريد بذلك التقرب إلى الله، وتحقيق مصلحة إسلامية!!

* * *

ويناسب هنا أن نذكر كلاماً لأمير المؤمنين عليه السلام يرتبط بهذا الموضوع، يقول عليه السلام:

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيما وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً. لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله، ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تذيير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويهينه عند الله...»^١.

هنا يناقش أمير المؤمنين عليه السلام أولئك الذين طلبوا منه شراء ضمائر الناس بالأموال، وكسب مودتهم ومحبتهم بإنفاق أموال المسلمين وتوزيعها عليهم بغير حق ولا أولوية ولا ميزان شرعي، وهذا هو الطريق الذي يتبعه الضالون المنحرفون من حزب الشيطان.

^١ - بحار الأنوار ٤٨: ٣٢.

أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد رفض ذلك، وأبى أن يستخدم وسيلة غير شرعيّة من أجل الوصول إلى هدف شرعي.
ولا يمكن أن يطلب رضى الله بمعصيته ولا النصر بالجور.

* * *

إن علينا أن نعرف هذه الحقيقة دائماً، ونأخذها بعين الاعتبار، حقيقة «لا يطلب النصر بالجور» إننا في صراعنا السياسي أو العسكري مع الاعداء، وهكذا في رؤانا واتجاهاتنا السياسية فيما بيننا، يجب أن تحكمنا الشريعة، فنلتزم الطريق المرسوم لنا، ونجتنب الطريق الحرام «المكر، والخديعة، والكذب، والتهم...».

أما أن نمكر ونغدر ونفجر، فتلك هي طريقة معاوية وأتباع معاوية، أمّا أمير المؤمنين فقد كان يقول: « والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرّة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.¹

* * *

¹. نهج البلاغة _ الخطبه ٢٠٠.

الفصل السابع

إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ

- ما هي كلمة الله؟
- التصدي واجب الجميع
- قصة المفضَّل
- دلالات في القصة

ما هي كلمة الله؟

ومن الانعكاسات العملية لولاء الله تبارك وتعالى الذي هو صفة حزب الله، التصدي لقضية الله، والعمل من أجلها!

والسؤال الآن عن قضية الله تعالى ما هي؟

فالحقيقة إن إيماننا بالله تعالى مبني على أساس أن هذا الإله الخالق له إرادة في هذا الانسان، وله غاية من خلقه، وليس هو ذلك الإله المعزول البعيد عن شؤون هذا الانسان وحياته في الدنيا والاخرة.

وهذا هو الفرق بين إيماننا القرآني بالله تعالى وبين إيمان الفلاسفة الذين لا ينظرون إلى طبيعة العلاقة بين الله تعالى وبين الانسان.

أما القرآن الكريم فيؤكد مسألة دخالة الله تعالى في حياة هذا الانسان، ووجود مطلوب إلهي لا بد من تحقيقه من قبل هذا الانسان.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْزَلَ سُدًى؟﴾^١.

^١ - سورة القيامة _ ٣٦.

ويقول في آية اخرى: ﴿أمر للإنسان ما تمنى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى؟﴾^١.

إذن ما هي إرادة الله؟ وماذا يطلب من هذا الانسان؟ وكيف يريد

تصميم حياته؟

هنا لا نريد أن نرجع إلى فلسفة أصل الحلقة، ولماذا خلق الله

الانسان؟^٢

إنما نريد أن نعرف ماذا أراد الله لهذا الانسان؟ ومن هذا الانسان؟

وأي طريق رسمه له؟ وأي نهج وضعه له؟ وما هو ذلك الصراط الذي

طلب منه اتباعه حين قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ

لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^٣.

إرادة الله تعالى في هذا الانسان أن يكون عبداً له يلتزم بكل ما

تتطلبه العبودية، كما يفهم معنى العبودية لله وحده لا لسواه. هذه

هي إرادة الله من هذا الانسان، لا أن يكون جباراً في الارض، لا أن

^١ - سورة النجم _ ٢٤.

^٢ - القرآن الكريم يؤكد أن الله تعالى خلق الانسان من أجل الرحمة به، والتفضل عليه، هذه الرحمة التي تتجلى في قدرة هذا الانسان على التكامل، ومن ثم العيش في جوار الله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والفوز بالرضوان الأكبر، ولو لم يخلق هذا الانسان لظل حطيماً لا يلتذ بأية صورة من صور السعادة والكمال، ونترك هذا الموضوع إلى مجال آخر. أمّا الآية القرآنية التي تؤكد أن الانسان إنما خلق للرحمة فهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا رَيْبَ لَوْنٍ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن

رَحِمَ رَبُّكَ وَلِلذَلِكَ خَلْقَهُمْ﴾ هود _ ١١٩.

^٣ - سورة الأنعام _ ١٥٣.

يكون معانداً جاحداً، لا أن يكون لربه خصيماً مبيناً، وفي عين الوقت لا يكون عبداً ذليلاً للآخرين من دون الله.

وهذا هو معنى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١.

الله تعالى يريد أن يكون هذا الانسان من عباده لا من خصمائه وأعدائه، ومعانديه.

والجنة إنما أعدها الله لعباده، لأن العبودية لله هي الطريق إلى الكمال، والعروج إلى الله تعالى، ولذا قال تعالى: ﴿ادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

في هذا الضوء، وعلى أساس هذا الفهم نرجع إلى سؤالنا الاول:
ما هي كلمة الله تعالى؟

وما هي الأمانة التي وضعها الله في عنق هذا الانسان وطلب منه حملها والدفاع عنها قائلاً: _ ﴿وَلَنْ كُنْ مِنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخِيَانِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢.

حملها بعد أن أشفقت السماوات والارض والجبال منها وأبين أن يحملنها؟

هذه الأمانة هي رسالته تعالى وشريعته.

^١ - سورة الذاريات _ ٥٦.

^٢ - سورة آل عمران _ ١٠٤.

والتزام هذه الشريعة، وتحقيق هذه الرسالة هي أمانة الله تعالى التي يريدنا من هذا الانسان. وصفة الأمة المؤمنة (أمة حزب الله) أنها تتحمل مهام هذه الرسالة، وتدافع عن هذه القضية، وتتصدى لإنجاحها كما قال تعالى: ﴿كُنُوزٌ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾^١.

وصفة الانسان المؤمن، الانسان (حزب الله) أنه يتحمل هذه المهمة الضخمة، ويتصدى لها، ولا يتردد في الدفاع عنها، والعمل لإنجاحها:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^٢.

الانسان المؤمن يعرف أن مهمته في هذه الحياة أن ينتصر للإيمان ويدافع عنه، ومن خلال هذا التصدي وهذا الانتصار تكون الأمة المؤمنة أمة حزب الله غالبة ومفلحة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

^١ - سورة آل عمران _ ١١٠.

^٢ - سورة الأحزاب _ ٣٩.

ولا يمكن أن نتصور هذه الغلبة ما لم نفترض مسبقاً أن حزب الله يعمل ويجاهد ويتصدى ويصارع الباطل، ويكون حاضراً دائماً في ساحة الصراع، لا أن يتعد، ويتخلى، وينزوي.

إن هذا التصدي لقضية الله والانتصار لها هو الانعكاس العملي للولاء لله، فالإنسان الذي يحب الله ويتولاه لا بد أن ينتصر لرسالة الله، ويحميها ويبلغها الناس.

والإنسان الحزب اللهي الذي تتلخص كل هويته في (الولاء لله) يجب أن يكون مبلغاً لرسالات الله داعياً إلى الله، لا يخاف في الله لومة لائم، ويفترض نفسه مسؤولاً وراعياً، كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»^١.

إن هذا البعد العملي من أبعاد الولاية لله، وهذا الوصف العملي من أوصاف حزب الله هو الذي تشرحه كل الأحاديث الشريفة التي طلبت من المؤمنين الحضور في ساحة معركة الحق ضد الباطل، والايمان ضد الكفر.

فقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وآله:

^١ - ميزان الحكمة _ باب المسؤولية _ نقلاً عن كتاب كنز العمال.

«إن الله عزوجل ليغيض المؤمن الضعيف الذي لا دين له.
فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى
عن المنكر»^١.

وهذا هو ما ترجمه الإمام الحسين عليه السلام في قوله: «ألا ترون إلى
الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء
الله، ألا وإني لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ
برماً»^٢.

وفي القرآن الكريم وردت تعابير مختلفة كلها تشرح هذه الصفة
وتؤكدها، حتى أن بعض الآيات الكريمة أناطت وربطت بين الإيمان
وبين هذه الصفة _ صفة التصدي لقضية الله، والجهاد في سبيلها.

قال تعالى: _ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^٣.

الآية الكريمة تفيد أن الانسان المؤمن هو الانسان المجاهد بأنحاء
الجهاد وأشكاله ومجالاته كافة.

^١ - وسائل الشيعه _ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

^٢ - حياة الحسين _ ج ٢ - القرشي.

^٣ - سورة الحجرات _ ١٥.

وعلى هذا الأساس نود أن نؤكد لإخواننا المؤمنين ونؤكد لأنفسنا بأننا لن نكون من حزب الله ما لم نحمل همّ قضيتنا، ونكون رهن إشارة الدين الحنيف. لن نكون من حزب الله ما لم نجاهد في سبيل الله، ما لم نعط من أنفسنا وأموالنا وراحتنا وهدوءنا ونومنا ويقظتنا الشيء الكثير، ما لم نشعر بأن قضية الدين، ومآسي المتدينين ومشاكل أمة الإيمان هي قضيتنا ومآسينا ومشاكلنا، ما لم نفرح لأفراح الدين ونحزن لأحزان الدين.

كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام في وصف الشيعة أنهم: «يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا»^١. وما لم يكن بلاء المسلمين هو بلاءنا، ومحتهم هي محتتنا، نتأثر لها، ونكون كما لو أصابتنا شخصياً مهما ابتعدت عنا في المكان وفي الأشخاص.

ومن هنا ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلةً إلا عرض له أمر يحزنه يذكر به»^٢.

^١ - ميزان الحكمة _ ج ٥ - باب صفات الشيعة.
^٢ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب شدة ابتلاء المؤمن.

الحقيقة أن هذا الابتلاء ليس دائماً ابتلاءً شخصياً، والأمور المحزنة
للإنسان المؤمن ليست هي الأمور الشخصية المرتبطة بوضعه الخاص.
إن كل الابتلاءات التي تمتحن بها أمة الإسلام هي أمر محزن بالنسبة
للإنسان المؤمن وإن ابتعدت عنه تلك الابتلاءات.

* * *

التصدي واجب الجميع

وعلينا أن نؤكد في هذا المجال أن التصدي والعمل والحضور في
الساحة هو واجب الجميع.

فعلى الكل أن يقول كلمته، ويقف موقفه المناسب في تأييد ما
هو حق، ورفض ما هو باطل.

على الجميع أن يحضروا في ساحة الصراع، في ساحة المواجهة بين
الحق والباطل.

على الجميع أن يحملوا هم القضية _ قضية الله تعالى ويدافعوا
عنها، ومن أجلها.

على المثقف وغير المثقف، على العالم الديني وغيره، على صاحب
التجربة الطويلة في العمل السياسي وعلى المبتدئين، على ذوي
الوجودات الاجتماعية وعلى الفقراء من أبناء الشعب.

إننا في هذه النقطة نريد الإشارة إلى خطأ ممارسته الجاهليات القديمة والجاهليات الحديثة.

هذا الخطأ هو احتكار العمل وحجره على فئة خاصة من الناس، مرة تكون فئة الوجهاء والمشايخ! ومرة تكون فئة المثقفين والارستقراطيين! ومرة تكون فئة الكوادر الحزبيّة الطليعية!

النتيجة واحدة، والخطأ واحد.

إن هذه جاهلية لا يقرها الإسلام.

فالدين للجميع، وسعادة الأمة للجميع، والحرية والكرامة هي للجميع، إذن فعلى الجميع ومن حق الجميع أن يكون له موقف ورأي.

إن صهيب الرومي، بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وهؤلاء الغرباء الفقراء من الناس الذين لم تعرف لهم قريش أيّ شأن، هم الذين رفعوا راية الإسلام قبل أن يؤمن بها الوجهاء التقليديّون، وذوو الثروات، والشعراء، والمثقفون!!

هؤلاء هم الذين أرادت الجاهلية القديمة أن تستخف بوجوداتهم وآرائهم، فأبى الاسلام ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم الذين تريد الجاهلية الحديثة أن تعزلهم عن الساحة، وتحتقر وجودهم بأساليب مختلفة.

إنّ واحداً من أهمّ المفارقات بين أطروحة حزب الله وأطروحة (الحزب القائد) هي هذه:

إن (حزب الله) يفترض ويؤمن بأن حق التصدي هو للجميع، بل ومسؤولية الجميع، أمّا الأحزاب السياسية التي تسمى في المصطلح الحديث بـ (أحزاب النخبة) فهي تحاول بأطروحتها أن تضع مقاليد الرأي، ومفاتيح الكلام، بيد الكوادر الطليعية التي عاشت الحلقات الحزبية لسنين طويلة فقط.

إن علينا أن نبحث هذه النقطة بتفصيل أكثر لدى حديثنا عن الأطروحة السياسية لحزب الله^١، أما هنا فنأخذ من الموضوع ما يرتبط بجانب الشخصية الإسلامية في منهج وتربية حزب الله، وفي ظلّ الفهم القرآني لحزب الله.

إن شخصية الانسان المسلم المؤمن التي تحب الله، وتخاف الله، وتثق بالله تبارك وتعالى، ينعكس هذا الحب والخوف والثقة به تعالى على عملها وسلوكها، فتدعو الانسان المسلم للطاعة، وتدعوه

^١ - وذلك ما سنبحثه في «منهجنا السياسي» باذن الله تعالى.

للتصدي وتحمل المسؤولية، وألا يتجنب ويعتزل، كما لا يحتكر العمل الإسلامي له وحده زاعماً أن غيره لا خبرة لهم ولا شأن!
إن شخصية الانسان ال (حزب الله) ترفض تماماً هذه الامراض والأوبئة الفكرية والنفسية الناشئة من ضيق في الافق، ومقدار كبير من التعالي والكبرياء والغرور.

قصة المفضل

بهذا الصدد نود أن نستعرض قصة من تاريخ أئمتنا عليهم السلام تحمل معنى كبيراً ينفعنا في هذا المجال.
هذه القصة تعطينا مفهوماً رائعاً عن (حزب الله)، وتنقد بالصميم كل محاولة لعزل الجماهير عن الحركة وعن تحمل مسؤوليتها، كما تبدد تماماً مقولة أولئك الذين يستخفون بقدره الجماهير _ حزب الله _ ويدعون إلى إبعادهم عن معترك الصراع بين الحق والباطل.
قصة المفضل^١: _ أن جماعة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام من أهل الكوفة كتبوا اليه.

^١ - انظر «رجال الكشي» ترجمة المفضل بن عمر.

«إن المفضّل _ أحد أصحاب الإمام وتلامذته المبرزين _ يجالس الشطّار^١ وأصحاب الحمام، وقوماً يشربون الشراب، ينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألاّ يجالسهم».

واضح لماذا كتبوا هذا الكتاب؟

يعتقدون أن الانفتاح على جماهير الناس، ومختلف طبقاتهم ومستوياتهم، والتعامل معهم بروح الصداقة والمحبة، ومن ثمّ الاستفادة من طاقاتهم ومحاولة توجيهها الوجهة المناسبة، يعتقدون أن مثل هذا الانفتاح ليس بجيدّ، وهؤلاء الجماهير التي قد لا تلتزم _ في بعض الأحيان _ بالحدود الشرعيّة وإن كانت ذات ولاء عميق وشديد للإسلام ولقادة الإسلام، الجماهير ينبغي طردهم والوقوف بوجههم، ولا خير في ولاءهم وحبّهم، وأن العمل الإسلامي ينبغي أن يعتمد _ فقط _ على ثلّة قليلة من الناس هم أصحاب الوعي والخبرة، وذوي التجربة والكفاءة السياسية!!

ما هو ردّ الإمام لهؤلاء؟

تقول القصة: أن الإمام الصادق عليه السلام كتب إلى المفضّل كتاباً وختمه ودفعه إليهم، وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد

^١ - الشطّار مصطلح قديم يقصد به البطّالون من الناس والطبقة السفلى منهم.

المفضّل، فجاءوا بالكتاب إلى المفضل ودفعوه إليه ففكّه وقرأه، فاذا فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اشتر كذا، واشتر كذا» ولم يذكر قليلاً ولا كثيراً مما قالوا فيه. فلما قرأ الكتاب دفعه إليهم، فقرأه كل واحد منهم. فقال المفضّل: _ ماذا تقولون؟

قالوا: _ هذا مال عظيم حتى ننظر ونجمع ونحمل إليك ثم لم ندرك...

وأرادوا الانصراف، فقال المفضّل تغدوا عندي فأجلسهم لغدائه. وتستمر الرواية فتقول: أن المفضل حين أجلسهم عنده أرسل سريعاً إلى أصحابه من أهل السوق، وعامة الناس الذين عبر عنهم أولئك الصحابة بأنهم من الشطار وأهل الحمام... وكانوا ينتقدون المفضل على اتصاله بهؤلاء الناس.

فجاء أصحابه وقرأ عليهم المفضّل كتاب الإمام الصادق، وما يطلبه فيه من شراء بعض الحاجات التي تكلف مالا عظيماً، وخرجوا من عنده لتوفير ما يطلبه الإمام عليه السلام.

تقول الرواية «وجلس هؤلاء _ وزارة ومُجد بن مسلم وآخرين _ ليتغدوا فرجع الفتيان _ أصحاب المفضل _ وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفاً وألفين، وأقل وأكثر، فحضرُوا وأحضروا ألفي دينار، وعشرة آلاف درهم قبل ان يفرغ هؤلاء من الغداء» فالتفت المفضل إلى ضيوفه

الذين حملوا له كتاب الإمام الصادق عليه السلام وانتقدوه على تعامله مع عامة الناس قائلاً لهم: تأمروني أن أطرده هؤلاء من عندي؟؟
تظنون أن الله تعالى محتاج إلى صلواتكم وصومكم»^١.

* * *

دلالات في القصة

إن هذه القصة تعكس لنا أموراً مهمة للغاية في أطروحة حزب الله التي سيأتي الحديث عنها _ لدى البحث في (منهجنا السياسي) و(أخلاقنا السياسيّة).

فالجماهير، وعامة الناس، وأهل السوق تستطيع أن تحقق للإسلام وللمهام الإسلاميّة الشيء الكثير الذي يعجز من تحقيقه غيرهم.

ويتضح من موقف الإمام عليه السلام حين بعث بكتاب إلى المفضل يأمره بأن يشتري بعض الحاجات، يتضح من هذا الموقف أن الإمام عليه السلام قصد نفس الدرس الذي علّمه المفضل لهؤلاء الأصحاب، فالإمام يعرف أن المفضل سوف يستعين بعوام الناس، ومن خلال هؤلاء يستطيع أن يحقق ما طلبه الإمام، بينما لا يستطيع أولئك الذين انتقدوه أن يحققوا، ومن المفيد أن نمنع النظر في جوابهم

^١. رجال الكشي ٢: ٦٢.

للمفضل حين سأهم عن رأيهم في شراء تلك الحاجات، قالوا: «هذا مال عظيم، ننظر، ونجمع، ونحمل إليك، ثم لم ندرك». يتصورون أن المسألة تحتاج إلى عقد جلسات، ومباحثات، وتخطيط نظيري، وبدون ذلك لا يمكن الإقدام على هذا المشروع الضخم!

وسرعان ما نسف المفضل هذه الأوهام الناشئة من البعد عن الجماهير، والانغلاق عنها، والعمل ضمن حلقات خاصة تخطيطية...!

* * *

الفصل الثامن

الولاء

للسول «صلى الله عليه وآله» **وأهل بيته** «عليهم السلام»

- الولاء شرط الإيمان
- المحبة أولى مستويات الولاء
- الطاعة ترجمان المحبة
- النصره والفداء
- محبة أهل البيت عليهم السلام
- تجسيد المحبة
- الولاء والبلاء
- حب العلماء

الولاء شرط الايمان

في أكثر من نصٍ قرآني تتأكد حقيقة أن الولاء لله تعالى لا يمكن أن ينفصل عن الولاء للرسول صلى الله عليه وآله والذين آمنوا، بمعنى أن الولاء لله لا يكون صادقاً ولا واقعياً إذا لم يترجم إلى ولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وللأمة المؤمنة بالله ورسوله، ومن دون ذلك فإن الولاء لله تعالى سيبقى مجرد ادعاءٍ لا يملك ما يبرهن على صدقه. الآيات التي تحدثت عن «حزب الله» كانت واضحة في شرح هذه الحقيقة وبيان الملازمة حينما تقول:

﴿وَمَنْ يُؤَلِّمُ الْكُفْرَانَ يَأْخُذْ اللَّهُ بِكُفْرَانِهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ الْيَقِينَ لَمَّا كَانَتْ هُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ أَتَانَهُمْ فَسَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَجْهَهُ وَلَعَنَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا وَمَا يُدْرِيكَ أَعْمَتُ الْيَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا يُغْنِي عَنْكَ كِثْرَتُكَ أَنْ يُقَاتِلُواكَ فَيَكْفُرُوا بِمَا كَفَرُوا وَإِنَّكَ لَآتٍ بِهُمْ قُتْلًا نَافِلًا﴾^١

وتقول في موضع آخر:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾^٢

^١ - سورة المائدة - ٥٦.

^٢ - سورة المائدة - ٥٥.

ومن جانب آخر فإن الآيات القرآنية تريد أن تؤكد على حقيقة أن الإيمان لا يمكن أن يتجرد عن الولاء بكل أبعاده ومعانيه ومستوياته.

لا يمكن أن يكون الانسان مؤمناً بالله ورسوله ولكنه لا يحمل ولاءً لله ورسوله والأمة المؤمنة كما هو شأن المنافقين الذين يعلنون الإيمان ولكنهم يطنون البغض والكراهية وأحياناً العداة لله ورسوله وللمؤمنين، بينما يتولون الطاغوت وأعداء الله والذين كفروا...

إن الفهم الديني يؤكد على مسألة أن «الولاء» هو المعبر الحقيقي عن الانتماء إلى هذه الجماعة أو إلى تلك الجماعة، والمظاهر وحدها ليست كافية في تحقيق هذا الانتماء، حتى إذا كان لها بعض الامتيازات على مستوى الحكم الشرعي لتنظيم العلاقة مع الناس.

لاحظوا قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يَهْدِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾^١

إن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ شرح دقيق لفكرة أن الولاء هو أساس الانتماء إلى هذه الجماعة أو تلك، الولاء بكل

١٣٥.....الفصل الثامن / الولاء للرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام

أبعاده ومستوياته، بدءاً من المحبة القلبية وحتى يصل إلى الارتباط ثم التبعية العملية والسياسية.

وفي هذا الضوء لا نستطيع أن نتصور مؤمناً صادقاً في إيمانه وهو يوالي أعداء الله ورسوله والذين آمنوا.

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾^١.

والآية هنا لا تتحدث عن المظهر الخارجي، فقد كان هناك قوم يظهرون الإيمان ولكنهم يوادون الكافرين، إنما تتحدث الآية عن قضية تكوينية، وكأنها تريد أن تقول أنه لا يمكن أن يوجد شخص مؤمن بحقيقة الإيمان وهو يوالي من حاد الله ورسوله.

المحبة أولى مستويات الولاء

وكما سبق شرحه في مسألة «الولاء لله» فإن الولاء للرسول صلى الله عليه وآله هو الآخر ينطوي على مستويات ومراحل. أول تلك المراحل هو الحب القلبي والتعلق النفسي بالرسول صلى الله عليه وآله.

جاء في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وآله:

^١ - سورة المجادلة _ ٢٢.

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^١.

والملاحظ في هذا الحديث الشريف أن الحب للرسول صلى الله عليه وآله يجب أن يكون أعلى مراتب الحب بحيث لا يصل إلى مستواه حب أي شيء آخر.

هذا المعنى هو ما أكدته الآية القرآنية بالقول:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^٢.

* * *

الطاعة ترجمان المحبة

ولكن هذه المحبة وحينما تكون بهذا المستوى يجب أن يعكسها الواقع العملي للانسان المؤمن من خلال الطاعة المطلقة للرسول صلى الله عليه وآله.

هذا هو ما أكدته الآية القرآنية:

^١ عن ميزان الحكمة _ ج ٢ - باب حب النبي صلى الله عليه وآله.

^٢ - سورة التوبة _ ٢٤.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^١.

وفي موضع آخر نجد القرآن الكريم يحصر الإيمان بحالة الطاعة والتبعية المطلقة للرسول صلى الله عليه وآله حيث يقول:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْمَأَذِنُوهُ﴾^٢.

النصر والفداء

وتصل حالة «الولاء» إلى مستوى أعلى من مستوى الحب والطاعة، وهو مستوى النصرة والفداء وبذل النفس من أجل الرسول صلى الله عليه وآله، حيث يجعل القرآن هذا المستوى علامة على حقيقة الإيمان وصدقه.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَأُ وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^٣.

^١ - سورة الأحزاب - ٣٦.

^٢ - سورة النور - ٦٢.

^٣ - سورة الأنفال - ٧٤.

ويقول تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يُبْتَغُونَ فِضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُنصِرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^١

محبة أهل البيت عليهم السلام

ولكن محبة الرسول صلى الله عليه وآله باعتبارها تعبيراً عن المحبة لله تعالى ولدينه ورسالته يجب أن تمتد إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، حيث أن محبتهم هي الدليل على صدق محبة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث أنه والمرسل، لأنهم يمثلون الامتداد الطبيعي والشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله كما جاءت بذلك النصوص الشريفة.

حيث قال الله تعالى على لسان نبيه في القرآن الكريم:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^٢

فيما أكدت النصوص المتواترة أن «القربى» هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

وبهذا نستطيع أن نفهم بشكل واضح معنى الأحاديث النبوية التي

تقول:

^١ - سورة الحشر _ ٨.

^٢ - سورة الشورى _ ٢٣.

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من

عاداه»^١.

أو تقول:

«فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن أبغضها فقد

أبغضني»^٢.

ونستطيع أن نفهم معنى النصوص العديدة التي أكّدت على أن من يبغض أهل البيت لا يكون إلا منافقاً، حيث كان المنافقون يعرفون في صدر الاسلام الأول من خلال العرض على أمير المؤمنين، فمن أحبّه كان مؤمناً، ومن أبغضه كان منافقاً، كما جاء في روايات عديدة نقلتها كتب الفريقين.

ولأجل أهمية محبة أهل البيت عليهم السلام في بناء التركيبة النفسية والعقائدية للانسان المؤمن، جاء التأكيد على ذلك في نصوص الزيارات الشريفة لهم عليهم السلام التي تستعرض وجوه وألوان العلاقة العاطفية والفكرية والعملية مع أهل البيت عليهم السلام حينما تقول:

١- الإرشاد للمفيد ١: ١٧٦.

٢- مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٢.

«من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله».

وتقول:

«أمنت بكم وتوليت آخركم بما توليت به أولكم، وبرئت إلى الله عزوجل من أعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم، الجاحدين لحقكم، والمارقين من ولايتكم...»^١

تجسيد المحبة

ولا شك أن المحبة يجب أن تتجاوز حدود الولاء العاطفي إلى الواقع العملي كما سبق شرحه.

ولكن ما نريد الإشارة إليه في هذا الموضوع _ ودون أن نتجاوز الحدود التي وضعناها لهذا البحث _ هو ضرورة تعميق التفاعل مع قضايا أهل البيت عليهم السلام فكراً وعاطفةً لدى شخصيّة أبناء (حزب الله)، وهو ما تؤكدته مئات الروايات الشريفة الواردة عنهم عليهم السلام في فضل زيارتهم، وإحياء ذكركم، والحزن لأحزانهم، والفرح لأفراحهم، وذكرهم في كل مواطن الذكر، حتى ليكون «ذكرهم

^١ - انظر (زيارة الجامعة الكبيرة) _ مفاتيح الجنان _ عباس القمي.

في الذاكرين، وأسمائهم في الأسماء، وأنفسهم في النفوس، وقبورهم في القبور...» كما جاء في زيارة الجامعة الشريفة.^١

إن الزيارة اليومية لهم — ولو من بعيد — وحضور مجالس ذكرهم عند المصائب والأفراح، والاستعداد للتضحية في هذا السبيل، والاعلان عن الولاء لهم والبراءة من أعدائهم هي أمور أساسية في شخصيّة الانسان المؤمن، وتعبير عن مدى صدق ولائه لله ورسوله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته الاطهار عليهم السلام. أما الاقتصار على الجوانب العقيدية في العلاقة بهم والاستهانة بالجانب النفسي والعاطفي، وعدم الاهتمام بالانشداد القلبي المستمر معهم عليهم السلام هو أمر بعيد عن المنهج الذي أوصى به أهل البيت عليهم السلام.^٢

الولاء والبلاء

إن كثيراً من الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام تؤكد وجود ترابط بين حبهم عليهم السلام وبين ضرورة الصبر على البلاء

^١ - مقتبس من زيارة الجامعة الكبيرة، وجاء فيها « ذكركم في الذاكرين، وأسمائكم في الأسماء، وأنفسكم في النفوس، وقبوركم في القبور ».

^٢ - راجع الرؤية الكاملة لهذا الموضوع في كتابنا (بحوث في المنهج السياسي) فصل الشعائر الدينية والمذهبية.

والاستعداد له، والواقع التاريخي لشيعه أهل البيت عليهم السلام أكد هذه الحقيقة كقضية تاريخية ما تزال قائمة.

جاء في الرواية عن منهال بن عمر قال: كنت جالساً مع محمد بن علي الباقر عليهم السلام اذ جاءه رجل فقال: والله إني لأحبكم أهل البيت.

قال عليه السلام: فاتخذ للبلاء جلباباً، فو الله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم.^١

فما هو تفسير ذلك؟

إن التفسير الطبيعي لذلك هو ما يكتنفه الولاء لأهل البيت عليهم السلام من موقف سياسي ومنهج أخلاقي في التعامل مع الواقع السياسي والاجتماعي الحاكم.

إن الولاء إذا كان مجرد إضمار المحبة لهم عليهم السلام فإنه سوف لا يجزّ للموالي أية مشكلة سياسية أو اجتماعية، ولكنه حينما يتحوّل إلى موقف من الانحراف في الجهاز الحاكم أو الواقع الاجتماعي الفاسد فإنه سينجر إلى حالات من الفقر أو الملاحقة

^١ - ميزان الحكمة عن مصادره _ ج ٢ - باب المحبة.

السياسية أو المقاطعة الاجتماعية وما شاكل ذلك _ والعجيب أن بعض النصوص الشريفة تقول «ولولا أن تكونوا كذلك لرأينا أنكم لستم منا» كما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام بما يعني أن عدم نزول البلاء هو دليل على عدم الاخلاص في الإيمان والولاء والتشيع لأهل البيت عليهم السلام.

على أن تفسيراً آخر قد يقدم لسرّ الترابط بين الولاء والبلاء، وهو اعتبار البلاء طريقاً من الله تعالى سوف يتليه الله بأنواع البلاء للمزيد من تنقية قلبه وتطهير نيته وقطع روابطه مع الدنيا، وهذا هو الذي قد يشرحه الحديث الشريف المعروف القائل «أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»^٢ إلا أن هذا التفسير لا يتنافى مع التفسير الأول، بل ينضم إليه ويقف إلى جانبه.

فالبلاء قد يكون عاملاً على زكاة الانسان، ومزيد توجهه نحو الله تعالى، إلا أن أسباب ذلك قد ترجع إلى مواقف سياسية ودينية، ومناهج حركية واجتماعية كما نجده بشكل خاص في شيعة أهل البيت عليهم السلام، فإن البلاء النازل عليهم لم يكن بلاء أمراض

^١ - المصدر السابق.

^٢ - المصدر السابق.

ووفيات وحوادث طبيعية، وإنما كان بلاء ملاحقات سياسيّة، ومواجهات ثقافية ودينيّة، ومطاردات اجتماعيّة وطائفية.

حب العلماء

ولا بد أن تمتد محبة الرسول وأهل بيته الاطهار عليهم السلام لتشمل علماء الدين، وحملة الرسالة الإلهية فإنهم ورثة الأنبياء، وخلفاء الأئمة الأطهار عليهم السلام، وبمقدار ارتباط الانسان المؤمن بالله ورسوله وشريعته، يجب أن يكون ارتباطه بعلماء الدين حيث المنبع لهذا الحب واحد، وهو حب الله تعالى ودينه، والهدف واحد وهو الوصول إلى الله تعالى ومرضاته.

فمن غير الممكن أن يحتفظ الانسان بالسلامة والنقاء في ولاءه لشريعة الله ثم لا يجب حملة الشريعة، أو يجب الرسول والأئمة الأطهار ثم لا يجب الحب الذي يوصله إليهم وينقل إليه كلماتهم. كيف نتصور ذلك؟

وإذا كان بغض علي عليه السلام يمثّل نفاقاً، فإن بغض العلماء هو الآخر يمثّل حالة من الخلل في سلامة الإيمان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النظر إلى وجه العالم حباً له عبادة» وقد سُئِلَ إمامنا الصادق عليه السلام عن ذلك فقال: هذا العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرَكَ الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة»^١.

وفي هذا الضوء سيكون أحد معالم شخصية المؤمن الحزب اللهي هو حب علماء الدين، والتودد لهم، والتقرب منهم، والارتباط بهم.^٢ ولقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اغدُ عالماً أو متعلماً أو أحب أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك»^٣.

* * *

ومن الطبيعي أن ليس المقصود هو حب أفراد العلماء بأشخاصهم واحداً واحداً، فرمما كانت بعض الأخلاقيات أو الحالات الخاصة لدى بعضهم تدعوك للابتعاد عنه شخصياً أو عدم الانجذاب إليه. إنما المقصود هو محبة هذه الشريحة من الناس لطبيعة موقعها ومهمتها وسلوكها وإخلاصها، حيث نلاحظ أن أعداء الدين

^١ - ميزان الحكمة _ ج ٦ - ابواب العلم _ عن مصادره.

^٢ - راجع عشرات النصوص في هذا الشأن في المصدر السابق وفي أصول الكافي للكليني _ الجزء الأول.

^٣ - أصول الكافي _ ج ٢ - كتاب فضل العلم.

والمنافقين يحملون الكراهية بالدرجة الأولى لهذه الشريحة أيضاً لنفس
الاسباب التي يجب أن تدعونا لحبّهم.

إن المحبة إذن ليست للشخص وإنما هي للعنوان، وبمقدار ما يكون
هذا العنوان مجسّداً بشكل أكبر في هذا العالم أو ذاك تكون المحبة إليه
أكبر.

* * *

الفصل التاسع

الولاء للذين آمنوا

- الإيمان أساس الولاء
- الإيمان الصادق
- الأبعاد المختلفة للولاء

الإيمان أساس الولاء

الولاء للذين آمنوا هو العلامة الثالثة من علامات حزب الله، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْوَلِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

والفكرة هي الفكرة نفسها التي تحدثنا عنها في الولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام ولعلماء الدين. فحينما يكون الله تعالى هو محبوبنا الاول، فان هذا الحب لا بد أن يسري إلى أنبياء الله ورسوله، ثم كتبه ورسالاته، ثم حملة تلك الرسالات من الأوصياء والعلماء، وهكذا يستمر سير هذا الحب وتواصله حتى يصل إلى كل عباد الله الصالحين، المؤمنين الذين أحبهم الله تعالى، فالحب للذين آمنوا بالله هو حب الله بالدرجة الاولى، ولأن هؤلاء المؤمنين هم الذي أحبوا الله، وآمنوا به، وانتموا اليه، فمن الطبيعي أن نحبهم، لأننا أيضاً ننتمي إلى الله ونعيش في نفس هذه الدائرة.

الإيمان الصادق

وسوف نعرف أن الولاء للذين آمنوا سيكون شرطاً في صدق الإيمان بالله تعالى، حيث لا يمكن لانسان أن يكون محباً للإيمان ثم يبغض أهل الإيمان، أن يكون من أنصار الله ثم لا يجب أبناء حزب الله وأمة حزب الله.

إن الإسلام رسم عقد الاخوة بين المؤمنين قائلاً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^١، وحينما نقبل هذه الأخوة فلا بد أن نقبل معها المحبة والولاء بمستوياته المختلفة.

ولكننا سوف نواجه هذا السؤال:

قد لا تحب بعض المؤمنين ربما لخلاف حدث بينكما، أو لبعض صفاته الشخصية التي قد تدعوك للنفرة منه، وربما لا تحبه لأنك لا تعرفه ولا علاقة لك به، فهل يعني ذلك خلافاً في الإيمان؟

وربما تصل الحالة أحياناً إلى قطيعة، وتتصاعد أحياناً حتى تصل إلى مرافعات قضائية، وربما تتطور فتصل _ لسبب من الأسباب _ إلى حالة من العداة، فكيف نفسّر ذلك مع أن هذه القضايا مألوفة وطبيعية في واقعنا الاجتماعي؟

الجواب:

إن المقصود بالولاء لـ«الذين آمنوا» ليس هو الولاء لكل فرد فرد من المؤمنين، إنما هو الولاء للمجتمع المؤمن، والأمة المؤمنة، الولاء للظاهرة الإيمانية أينما كانت في فرد، أو مؤسسة، أو مجتمع، فالمؤمن يشعر برابطة الولاء بينه وبين الإيمان أينما حلّ ووجد، وعلى أساس ذلك يتوزع ولاؤه ويتناسب ويتصاعد طردياً بمقدار علاقة الطرف الآخر بالإيمان وتمثيله للحالة الإيمانية.

ولعل هذا هو ما عناه الحديث النبوي الشريف القائل:

«من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»^١.

لأن الاهتمام هو أحد مظاهر الولاء بين المسلمين، وأمور المسلمين تشمل أولئك الذين تعرفهم بأشخاصهم أو لا تعرفهم بأشخاصهم.

المسلمون في كل بقاع العالم حينما يتعرضون لاعتداء أو مأساة طبيعية يجب أن تشاركهم في الهمّ، وذلك هو المقصود بالولاء لـ«الذين آمنوا».

* * *

١- أصول الكافي _ الكليني _ الاهتمام بامور المسلمين _ ج ٢.

وأما حدوث حالات من الكره والضغينة أحياناً بين بعض المؤمنين، فإنها يجب أن تكون بحدودها الشخصية ولا تتجاوز ذلك إلى حالة الإيمان الموجودة لدى الطرف الآخر، فهو كمؤمن أنت تحبه، ولكنه كصاحب مشكلة معك قد تكرهه على أساس ذلك وبحدود تلك المشكلة.

أما القطيعة والهجر فإن الشريعة الإسلامية تحرّمها بين المؤمنين مهما كانت الأسباب، إلا في حالات النهي عن المنكر، وحينما تكون المقاطعة أحد السبل لترشيد وتصحيح حركة الطرف الآخر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا هجرة فوق ثلاث».

وقال صلى الله عليه وآله:

«أيما مسلمين تهاجرا فمكثنا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين

من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان

السابق إلى الجنة يوم الحساب»^١.

* * *

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب الهجرة.

وأما العداة فإنه حالة مرفوضة تماماً بين المؤمنين، ومهما بلغت الخلافات الشخصية أو السياسية فإنها يجب أن لا تصل إلى حالة العداة، لأن الأخوة بين المؤمنين قانون محفوظ في كل الحالات، وحينما يحدث عداة فإنه يعني خروج أحد الطرفين عن الإيمان، وفي هذه الحالة فقط _ وحينما تكون واقعية _ يصبح العداة أمراً ممكناً ومقبولاً.

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام في استعراض حق المؤمن على أخيه:

«وأن لا يقول له أفٍ، وإذا قال له أف فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا اتهمه إنمات الإيمان في قلبه كما ينمات الملح في الماء»^١.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث شريف:
«ألا إن في التباعد الحالقة، لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»^٢.

ويهمنا في هذا الصدد أن ننبه إخواننا المؤمنين إلى ضرورة وضع هذه المسألة موضع الاهتمام الكبير، فإننا يجب أن نفتح صدورنا

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - ١٧١.

^٢ - أصول الكافي _ ج ٢ - ٣٤٦.

للمؤمنين كافة ومهما بلغت الخلافات بيننا على مستوى المذاقات، أو مشاكل العمل، وحتى أولئك الذين قد نختلف معهم في المنهج فإنهم ماداموا في صف الإسلام والتحرك للقضية ولم يتحولوا إلى صف العدو فهم إخواننا، ويجب أن نحفظ بيننا وبينهم حالة الأخوة والولاء بكل محاليلها النفسية والعملية، وبهذا نستطيع أن نكون تجسيدا حقيقياً وصادقاً لأطروحة (حزب الله) وأخلاقية (حزب الله) و«شخصية حزب الله» في العمل الإسلامي.

ومن المفيد هنا أن نقرأ الرواية التالية عن الإمام الباقر عليه السلام:

عن أبي اسماعيل قال:

قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك إن الشيعة عندنا

كثير.

فقال: فهل يعطف الغني على الفقير؟

وهل يتجاوز المحسن عن السيء؟

ويتواسون؟

فقلت: لا.

فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا.^١

^١ - أصول الكافي _ ج ٢ - باب حق المؤمن.

هذه هي أخلاقية المؤمن ومعالم شخصيته، وهؤلاء هم شيعة آل البيت عليهم السلام وهم حزب الله وأنصاره.

الإبعاد المختلفة للولاء

الولاء بين المؤمنين الذي تحدث عنه القرآن الكريم بالقول ﴿المُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ هو عنوان عريض يستوعب في داخله مظاهر عديدة بدءاً من الحب والود، وإلى الصلة والتزاور، والعون وقضاء الحاجات، والمساواة والتبادل، وحتى نصل إلى النصره والتفاني من أجل المؤمنين.

كل هذه مظاهر للولاء المتبادل بين المؤمنين.

وقد يناسب هنا أن نقرأ بعض الروايات الجامعة الشاملة في هذا المجال، تاركين القارئ إلى مراجعة المصادر للاطلاع على عشرات بل مئات النصوص الشريفة في هذه المجال.

عن أبي مأمون الحارثي قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المؤمن على المؤمن؟

قال: إن من حق المؤمن على المؤمن:

١ _ المودة له في صدره.

- ٢ _ والمواساة له في ماله.
- ٣ _ والخلف له في أهله.
- ٤ _ والنصرة له على من ظلمه.
- ٥ _ وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه.
- ٦ _ وإذا مات الزيارة إلى قبره.
- ٧ _ وأن لا يظلمه.
- ٨ _ وأن لا يغشه.
- ٩ _ وأن لا يخونه.
- ١٠ _ وأن لا يخذله.
- ١١ _ وأن لا يكذبه.
- ١٢ _ وأن لا يقول له أف.
- ١٣ _ وإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»^١.

بينما يقول عليه السلام في رواية أخرى يرويها عيسى بن أبي منصور قال:

^١ - المصدر السابق _ حديث ٧.

«كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أنا وابن أبي يعفور وعبد الله بن طلحة فقال ابتداءً منه:

يا ابن أبي يعفور، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ست خصال من كنّ فيه كان بين يدي الله عزوجل وعن يمين الله.

فقال ابن أبي يعفور: وما هنّ جعلت فداك؟

قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله، ويناصحه الولاية، فبكى ابن أبي يعفور وقال: كيف يناصحه الولاية؟

قال: يا ابن أبي يعفور إذا كان منه بتلك المنزلة بثّه همّه، وفرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، وإن كان عنده ما يفرّج

الفهرست

٣.....	مقدمة الناشر
٥.....	مقدمة المؤلف
٧.....	البداية
٩.....	الفصل الاول: حزب الله عنواننا السياسي
١٤.....	معنى الولاء
١٦.....	النسبية في مفهوم حزب الله
٢١.....	الفصل الثاني: الولاء لله (جَلَّالَهُ)
٢٧.....	الفصل الثالث: حب الله (جَلَّالَهُ)
٣٣.....	علاقات المحبة الاخرى
٣٤.....	حب الله وحب الطرق اليه
٣٧.....	فوق الانتماءات
٤٢.....	الحبُّ في الله
٤٥.....	حالة الاستيعاب

٤٧.....الوجه الآخر للحب

٥١..... **الفصل الرابع: الخوف من الله تعالى**

٥٧.....الخوف والطاعة

٥٩.....عدم الخوف من غير الله

٦٠.....ألوان التخوّف المرفوض

٦٠.....التخوّف من الحشود المضادة

٦٢.....التخوّف من المقاطعة

٦٤.....التخوف من التسقيط الاجتماعي

٧٣..... **الفصل الخامس: الثقة بالله (جَلَّالَهُ)**

٧٦.....تفاوت درجات الإيمان على أساس الثقة

٧٩.....مجالات الثقة بالله (جَلَّالَهُ)

٨٨.....الأصالة

٩٠.....الاستقامة

٩٣.....شرعية الوسائل

٩٥..... **الفصل السادس: إطاعة الله (جَلَّالَهُ)**

١٠٠.....الإطاعة في السراء والضراء

١٠٢.....الإطاعة في التكاليف الصغيرة والكبيرة

- بحوث في حزب الله ١٦٠
- الطاعة لله وحده ١٠٦
- لا يطاع الله من حيث يعصى ١٠٩
- الفصل السابع: إعلاء كلمة الله.** ١١٥
- ما هي كلمة الله؟ ١١٧
- التصدي واجب الجميع ١٢٤
- قصة المفضل ١٢٧
- دلالات في القصة ١٣٠
- الفصل الثامن: الولاء للرسول «طلى الله عليه وآله» وأهل بيته**
- «عليهم السلام»** ١٣٣
- الولاء شرط الايمان ١٣٥
- المحبة أولى مستويات الولاء ١٣٧
- الطاعة ترجمان المحبة ١٣٨
- النصرة والفداء ١٣٩
- محبة أهل البيت عليهم السلام ١٤٠
- تجسيد المحبة ١٤٢
- الولاء والبلاء ١٤٤
- حب العلماء ١٤٦

١٦١.....الفهرست

الفصل التاسع: الولاء للذين آمنوا..... ١٤٩

الإيمان أساس الولاء..... ١٥١

الإيمان الصادق..... ١٥٢

الأبعاد المختلفة للولاء..... ١٥٧

الفهرست..... ١٦١

* * *